

25

روايات مصر به سحر

# كاسحارو

سافاری

www.dvd4arab.com

Hany3H



## مقدمة

( سافاري ) مصطلح غربي تم تحريفه عن كلمة ( سافرية ) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ ( سافاري ) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش في الأدغال ( إفريقيا ) ..

لكن وحدة ( سافاري ) التي سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض في القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهي .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين .. بطلنا الذي سنقابله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د. ( علاء عبد العظيم ) .. شاب مصري ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط الأدغال ( الكامبيرون ) ، وفي بيئة غريبة وأمراض أعرب وأخطار لا تنتهي في كل دقيقة ..

وفي هذه الروايات نقرأ أفكار د. ( علاء ) .. نعيش معه ذلك العالم العجيب الذي لم تتجح الحضارة في تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجانين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين لا يمزحون .. وسارق الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي يظل حياً .. وكى يستطيع في الوقت ذاته أن يظل طبيياً ..

تعالوا نلحق بوحدة ( سافاري ) في ( الكامبيرون ) .. تعالوا ندخل الأدغال ونجوب ( السافانا ) ونسلك البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق ( سافاري ) ..





## عن الحمل والفول و ( زينات صدقي ) ( تعرفون هذه الأمور )

تستمر الحياة ..

لكن لكل شيء في هذه المرة مذاقاً مختلفاً ..  
الفكرة ذاتها باهرة لكنها مخيفة .. مخيفة ..

أومن أن في كل ما هو جميل غريب قدرًا لا بأس  
به من الرهبة .. وديان القمر .. أعماق المحيط ..  
غابات الأمطار .. قمة ( كليمنجارو ) .. فكرة الأبوة ..  
أنا لست صغير السن .. فيما مضى كنت أقرأ  
عبارة ( رجل في العقد الرابع ) في قصص ( أجاثا  
كريستي ) فأتخيل رجلاً مهيباً يملأ الأرض والسماء ،  
غامضًا كالغد ، إذا فتح فاه فلنرى تخرج الحكم التي  
تذكرها الأجيال القادمة وتستشهد بها ...

الآن أنا في العقد الرابع .. وكما هي العادة يصعب

أن أعترف أنني كبرت وصرت خطرًا كالآخرين ..  
أحتاج إلى عشرة أعوام أخرى كي أعرف هذا  
الشخص الذي أراه في مرآتي .. أحتاج إلى كثير من  
الخبرات والعلم .. ما زلت طفلًا أصفق بجنون حين  
يحرز لاعبو الأهلي هدفًا .. ما زلت أهوى مجلة  
( ميكى ) وأدبر مقالب لرفاقي .. وما زلت أنطق  
بمخافات لا حصر لها ..

في هذا الوقت بالذات أغدو أنا !

أغدو مسئولاً عن طفل يبكي ويتلوى ويرضع  
ويبيل كالفولته بالفضلات .. بل وأنا مسئول عنه منذ  
يخرج من الظلمات حتى أدخل أنا ذات الظلمات ..

إن الأمر يفهمنى هلغاً يا رفاق .. أحتاج إلى  
سنوات كي أستوعب هذه الفكرة ..

تجربة غريبة في أرض غريبة ...

\*\*\*



ولم تكن (برنات) أقل توترًا ..

طبعًا ليس من المعتاد أن تفكر المرأة في طفل  
يأتى من أحشائها ، والحقيقة أن زمن الأمهات  
والآباء الذين يعرفون كيف يكونون كذلك قد ولى  
على ما يبدو .. أحيانًا يخطر لى أننا طفلان ولا يجب  
أن يأخذا نفسيهما على حمل الجدية ..

لكننا صمتنا .. لم نعترف قط لنفسيما بما نفكر  
فيه .. وإن أدركت بوضوح أنها متوترة وأنها تشرد  
كثيرًا ..

طبعًا كانت هناك أعراض غير مريحة .. إن  
الاشمزاز من كل أنواع الطعام جعلها لا تأكل شيئًا  
على الإطلاق .. حين يحدث الأمر مع طبيب يحدث  
بعنف وقسوة .. القىء فى الصباح صار عادة محببة  
والدوار والصداع صاروا هواية ..

على المستوى العاطفى بدا أن علاقتنا تتحسن  
باطراد .. أحيانًا كنا نتعامل كطفلين مذعورين لا يعرفان

ما أتى بهما إلى هذا البلد . ليس لأحدنا إلا الآخر  
يمنحه الأمن والاهتمام ، ولو لم يكن موجودًا لجن ...

هكذا كنا نقرب .. وبدا أن ذلك الصدع الذى سببه  
(السايكومتري) فى حياتنا قد تلاشى تمامًا ..

طبعًا لا أحد يعرف بالأمر على الإطلاق .. وعلى  
الأرجح لن يعرفوا شيئًا لأننا فى الطريق إلى مصر  
ثم إلى (الكاميرون) .. بيتى الأول ثم بيتى الثانى ،  
وهكذا يمر يوم تلو الآخر وتبدو لى (كينيا) بغیضة  
إلى حد كبير .. يؤسفنى أن أقول هذا عن بلد لم أر  
فيه أخطارًا ومشاكل كالتى رأيتها فى الكاميرون ..  
لكن بيت أبىك هو بيت أبىك .. حتى لو كان كوخًا  
متهاكًا .. لا تشعر بالراحة إلا عندما تعود إليه ..

فقط يؤسفنى أن أقارن (سينوريه) العزيز ..

قال لى فى تلك اليوم :



- « أعتقد أنني أحببتك حقًا يا (علاء) .. لا أدري لماذا يداهمني هذا الشعور المزعج بأنك خذلتني .. »  
وهو شعور مذهل بالنسبة لرجل يفوقني سنًا ،  
وقابل الكثيرين وعرف مئات الأشخاص والتجارب ..  
يصعب على الاعتقاد بأنني متميز إلى هذا الحد ..  
لكنه كان يملك الإجابة :

- « أنت تعيش بلا قناع .. لا تتكلف العظم أو الشجاعة  
أو النبيل أو أي شيء .. يمكنك أن ترى كل خاطرة  
في ذهنك على وجهك .. هذه مزية لم ألقها إلا في  
رجال معدودين .. »

ثم تذكر شيئًا فأضاف باسمًا :

- « يخيّل لي أن جانب الطفولة فيك ما زال طاغيًا ..  
أنت لم تتعلم قط كيف تكبر وتصير خطرًا كالآخرين ! »

كأنه مصمم على زيادة توترى وإحساسى بالخطر !

وكنّت أعرف أنه لا يتكلم بهذه الحرية مع واحد  
من مرعوسيه إلا لسبب واحد : أنني سأرحل قريبًا ..

ربما لا نلتقى أبدًا .. أي أنني وجه عابر قابله في  
قطار ، وأنت تعرف هؤلاء الغرباء الذين تلقاهم في  
القطار .. إنهم يكلمونك بصراحة وتكلمهم بصراحة  
عن كل شيء .. عن أدق أسرارك ..

لن أكون موجودًا بعد شهر لأنهمه برقة القلب أو  
أطالب بمزايا هذا التبسط ..

كانت الأيام تمضي والمربعات التي أشطبتها  
و (برنات) تزداد عددًا .. لا أجرو على عد المربعات  
الباقية حتى لا تزيد فجأة .. لكن الكلام عن مصر  
صار يحتل أغلب محادثتنا ..

قالت لي ذات ليلة وهي تعد لي الشاي :

- « هل مصر بلد جميل ؟ »

فكرت قليلاً ثم قلت :

- « لا أدري .. أنا لم أتساعل قط إن كانت أمي  
جميلة أم لا .. إنها أمي وكفى .. لنقل إن ملامحها  
تشعرنى بالألفة والراحة .. »



« لكنك فررت منها .. أعنى مصر لا أمك طبعاً .. »

قلت باسمًا وأنا أرشف الشاي الساخن :

« هناك لحظة تجددين نفسك عاجزة عن إضافة أو تغيير شيء .. كل ما تكرهين لا يتبدل ، وكل ما تحبين يتم تدميره بعناية ودقة ، عندها تشعرين بالإحباط وتتساءلين : لماذا لم يحبني هذا البلد كما أحببته ؟ ثم تشعرين باليأس وتفجرين .. ثم يمزقك الحنين فتعودين .. والأمر فى النهاية يتلخص فى أن خلاياى مصرية سواء أردت أو لم أرد .. »

وساد الصمت ..

كنت أحلم .. أحلم بصوت الشيخ ( رفعت ) يقرأ القرآن قبل الإفطار فى رمضان .. أحلم بطبق الفول المعدنى مع رغيفين وبصلة على عربة يد .. بالذات على عربة يد .. رائحة الطباق من مقاهى الحسين .. صوت خرفشة الثوم فى المطبخ ضمن طقوس إعداد التقليدية .. رائحة التقليدية ذاتها .. النيل وقت العصر ..

الشاي على الفحم والذرة فى الحقل .. ( زينك صدقى ) العاتس الأبدية وحاجب ( فريد شوقى ) الأيسر .. مباراة الأهلى مع الزمالك .. مذاق الدوم فى أثناء العودة من المدرسة ..

من الغريب أن هذه الأشياء تثب إلى ذهنى تلقائياً حين أتكلم عن مصر .. لا يثب إلى ذهنى الكرنك والتيل والهرم كما علمنى مدرس التعبير فى المدرسة ، ولكن عشرات التفاصيل الصغيرة التى لم أتخيل الحياة من دونها قط .. ولو تحدثت عن التقليدية فى موضوع تعبير لنتت صفراً .

لن تفهمى هذا أبداً يا صغيرة .. لن تفهميه ..

ولعمرى هذه من المشاكل التى تترقد فى أعماقى طيلة الوقت .. تخرج رأسها من حين لآخر .. زوجتى من ثقافة مختلفة تماماً ، وتكونت خلاياها من مزيج مغاير تماماً .. فهل يستمر هذا ؟ هل تأتى اللحظة التى أشعر فيها بتمرد خلاياى ؟



١  
إنتى أعول كثيرًا على رحلتى القادمة إلى الوطن ..  
لسوف تصنع هذه الزيارة الحد الأدنى من الذكريات  
المشتركة بيننا .. يبدو كلامى مثيرًا للسخرية ، لكنى  
بحاجة ماسة إلى أن تعرف زوجتى معنى ( الطعمية )  
حين أتحدث عنها ..

حتى ذلك الحين أقر وأعترف وأنا بكامل قواى  
العقلية : أنا سعيد .. لماذا أكرر هذا ؟

\*\*\*

www.dvd4arab.com  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

- 14 -

قال (سينوريه) وهو يضع يديه فى جيبه :

- « لا أحد يمكنه أن يفعل هذا إلا (كومارسكى) ..  
هذا أسلوبه .. ولعمري لو كان هذا الافتراض حقيقياً  
فإن أسوأ كوابيسنا قد تحقق .. »

قال نائبه (جوتيه) وهو رجل راق فى العقد  
الثالث من عمره :

- « هل يعرف د. (عبد العظيم) القصة ؟ »

هز (سينوريه) رأسه فى استنكار :

- « بالطبع لا .. نحن لا نستقبل القادمين بغسيلنا  
القدر .. »

- « لكنه لابد أن يعرف .. »

- « بالطبع .. لكنى لن أحدى القصة كلها .. سأذكر



( الحقيقة ولا شيء إلا الحقيقة ) .. لكنى لن أنكر  
( كل الحقيقة ) .. »

- « هل هذا تصرف شريف ؟ »

هنا للمرة الأولى فقد ( سينوريه ) تماسك أعصابه  
وقال فى ضيق :

- « ( جوتيه ) ! أنت تتناسى عن عمد أئنى المدير  
وأنت نائبى .. بعض الاحترام لن يؤذى أحداً يا فتى ..  
وتتناسى العلاقة الحميمة التى تربطنى بالفتى .. ثنى  
من أنك لن تحافظ عليه مثلى .. لكن هناك أشياء  
يحسن أن نجهلها كى نقوم بعملنا جيداً .. حين  
تفحص مريضاً فمن الخير ألا أخبرك أنه غير قابل  
للشفاء .. هذا يجعلك محايداً مخلصاً فيما تقوم  
به .. »

لم يرد ( جوتيه ) استغفار رئيسه الجديد أكثر ،  
لكن المثال كان أقوى منه :

- « ولو كان مصاباً بالإيدز ؟ إن معرفة الأمر  
مسبقاً ستجعلك أكثر حذراً .. »

- « ( كومانسكى ) ليس مصاباً بالإيدز .. »

ثم ابتلع ريقه وأردف :

- « هذا لو كان حياً أصلاً .. »

\*\*\*

استدعانى ( سينوريه ) إلى مكتبه فى الخامسة  
مساءً .. وكنت قد اعتدت أن يستدعينى فى أى  
وقت ، وذهب ذلك الارتباط الشرطى الذى كان  
يجعلنى ارتجف توجساً فى السابعة مساءً حين كان  
( بارتلييه ) يستدعينى .. لا أدرى لماذا كان يتذكرنى  
فى السابعة يوماً .. هناك أشخاص يذكروننا بأرقام ،  
فلا بد أئنى كنت أمثل له الرقم ( 7 ) ، وكان ( بارتلييه )  
يبدو لى أقرب إلى رقم ( 2 ) لسبب ما .. بينما ( شيلبى )  
كان يذكرنى فى استعراضيته وغروره بالرقم ( 5 ) ..



حسن .. كان ( ليفى ) الإسرائيلى اللعين يذكرنى  
بالرقم ( 143 ) ولا أدرى لماذا ..

المهم أنى دخلت السكرتارية حيث هاته الحسنات  
اللاتى لا لزوم لهن .. تبدلت بعض عبارات المزاح  
للتقيل معهن ، ثم دخلت مكتب الرجل حيث كان يجرى  
اتصالاً هاتفياً مهماً ، وأمامه جلس ( جوتيه ) نائبه  
الفرنسى المهنّب .. الواقع أن إدارة ( سافارى ) صارت  
جنة هذه الأيام .. إدارة ( فرانكفونية ) راقية تجمع  
بين الاحترام والحزم .. ومعنى هذا أن رحيلى اقترب  
فعلاً لأننى لا يمكن أن أعيش فى مناخ مريح كهذا ..

فلما رآنى ( جوتيه ) أشار لى كى أجلس وابتسم  
ابتسامة جانبية مجاملة .. لكنى - بينى وبينك -  
توجست من وجوده .. بدا لى كأنما هو هنا ليساعد  
المدير فى مهمة شاقة .. وما هى المهمة الشاقة ؟  
طبعاً إقناعى .. إقناعى بماذا ؟ بشيء يصعب أن  
أفنع به .. هكذا القصة دائماً ..

اصبروا يا رفاق ولنصغ إلى العرض غير الشريف  
الذى سيقدمه لى الرجلان ..

سألنى ( جوتيه ) بصوت هامس :

- « هل استعددت للإجازة جيداً ؟ »

ابتسمت بمعنى أن نعم ..

- « سوف نفتقدك كثيراً .. »

- « الشعور متبادل .. »

كنت أتوجس خيفة من هذه المقدمات ، وفى هذه  
اللحظة انتهى ( سينوريه ) من المكالمة فوضع  
السماعة ونظر لى باسمًا ، وقال فى رقة :

- « هل استعددت للإجازة جيداً ؟ »

من جديد ؟ على كل حال ابتسمت بمعنى أن نعم ..

- « سوف نفتقدك كثيراً .. »

- « الشعور متبادل .. »



ثم صمت الرجلان بعض الوقت مما جعل شكى  
يقينا .. فى النهاية قال (سينوريه) :

- « (علاء) .. هناك مهمة أخيرة كنت أرجو أن  
تقوم بها لنا .. »

- « أنت تعرف أنني أرحب بأية مهمة تطلبها أنت  
بالذات .. »

- « مهمة فى جبل (كليمنجارو) !! »

آه ! هذا هو بيت القصيد .. المؤامرة الدنيئة تفصح  
عن وجهها القبيح .. والمجرور لفتيح لتتصاعد منه  
أخبث الروائح طرأ .. سلحتاج إلى بعض الوقت حتى  
أنسى هذه الخيانة ..

وقفت فى عصبية صاخا :

- « أنا ؟ فى الجبل ؟ »

- « ليس لدينا أحد غيرك .. إتنا فى مأزق ، وأنت  
الوحيد الذى يمكن أن نرسله لك نو خبرة لا بأس

بها فى العمل الميدانى .. ثم إتك زرت الجبل من  
قبل .. »

- « كانت إحدى القرى فى السفح .. وكهف به  
عجوز مينة .. لا يمكن القول إتنى خبير به .. »

قال (جوتيه) بلهجة عاقلة متريئة :

- « لا أحد يستطيع إجبارك على شىء .. أنت طبيب  
ولست متسلقا أو مستكشفا .. يمكنك أن ترفض ولن  
نحقد عليك ، لكن لو سمعت القصة لكأنت لك حرية  
القرار .. إن شيئا من محادثتنا هذه لن يرد فى أية  
أوراق ، وبالتالي يمكنك أن تؤكد أنك لم تقابلنا ولم  
يطلب منك شىء .. كما أننا سننكر بقوة أننا طلبنا  
منك أى شىء .. »

عم يتحدثان بالضبط ؟ هل قررا أن يكونا ثروة عن  
طريق التهريب أخيرا ؟ طبعا صار من المستحيل أن  
أرحل دون أن أعرف ما يحدث هنا .. الفضول قتل  
(علاء عبد العظيم) .. أو القط سابقا ..



وأردف (جوتيه) فى شىء من الخبث هذه  
المرّة :

- « لكننا سنحاول الاستفادة منك إلى أقصى حد  
فى الفترة الباقية لك هنا ، وعبر ( الغفرينا ) يحتاج  
إلى طبيب مقيم كفاء مثلك .. »

إنه التهديد إذن .. إن هذا العنبر هو جحيم (دلتى)  
بالنسبة لآى طبيب هنا .. وهو كأس دوارة يشرب  
منها للجميع لأنه لا بد من واحد يعنى بهؤلاء للتصاء ..  
لو رفضت عرضهما الغامض لكان هذا العنبر  
مصيرى الدائم حتى يوم الرحيل .. وفى هذه المرة  
لن يكون بوسعى المقاومة ، لأن هذا أمر تكليف ..  
وعدم التنفيذ معناه الإطاحة بعنقى .. لماذا أنا بسالذات  
يا سادة ؟ هذه طبيعة العمل يا بنى وعليك أن تنفذ ..

أطلقت زفيراً عالياً ثم استرخيت فى مقعدى وقلت :

- « أنتما تكسبان .. هل لى أن أعرف ما المطلوب

منى بالضبط ؟ »

أطلق المدير تهيدة خلاص ، ومد يده ليصب  
للجميع بعض القهوة فى أكواب ورقية ، ثم قال :

- « المهمة ليست عسيرة يا ( علاء ) ولا خطيرة ..  
لكنى لا أستطيع ترك مسئولياتى والقيام بها .. ثقى  
بى قليلاً .. لن أورطك فى شىء خطر أو قذر أو  
مرهق أو مريب .. »

- « هذا ما كنت أظنه ياسيدى حتى خمس دقائق  
مضت .. »

لم يرد على العبارة .. وقال بلهجة درامية :

- « ( إرنست كومارسكى ) ! »

كنت أقول له ( اشمعى ) أو شيئاً من هذا القبيل ،  
لكن الترجمة لم تسعبنى فقلت فى دهشة :

- « هل مات ؟ »

- « كنا نحسبه كذلك !! »

\*\*\*



فى تردد وشىء من الثقل واصل (سينوريه)  
الكلام :

- « كما خمنت .. الرجل من أصل بولندى .. كان  
طبيباً لدينا هنا منذ عشر سنوات ، وكان المدير  
إسبانياً يدعى (رودلفو كاسونا) وهو من جاء قبل  
(ستيچوود) بالضبط .. كنت أنا فى الوحدة طبعا  
وكذا د. (جوتيه) والمرحوم (ويلسلى) ، لكن أغلب  
طاقم الأطباء لم يكن قد جاء بعد ..

« كان (كومارسكى) طبيب أمراض باطنية ..  
وكان بارعا بحق .. إن للرجل أوراقا علمية منشورة  
فى مواضيع ومواضيع عديدة تدل على اتساع مجال  
اهتماماته ..

« لكنه - على غرار كل عبقرى - بدأ يستقل بتفكيره ،  
وبدأ يجرب .. يجرب من دون تصريح ومن دون أن

يطلع أية جهة على تجاربه هذه .. كانت تجاربه ذات  
طابع .... لنقل إنها كانت ذات طابع غير إنسانى ..  
ولا تتفق مع أخلاقيات المهنة ..

« حسن .. كان من الممكن أن يستمر هذا للأبد ،  
ولكنى نجحت بشكل ما فى معرفة ما يقوم به ، وقمت  
بإطلاع المدير .. وهكذا تم إيقافه وبدء التحقيقات  
حول الموضوع ... »

هنا قاطعته :

- « أية تجارب يا سيدى ؟ »

فإن لى خبرة لا بأس بها بتلك التجارب التى  
لا يقرها القاتون .. ذلك الطبيب - ماذا كان اسمه ؟ -  
الذى كان يجمع أفكار المحتضرين ، وتجارب نهاب  
(تسمى تسمى) فى قرية مصرية و ... الحق أننى  
رأيت من هذا الكثير ..

قال (سينوريه) وهو يزن كلماته :



- « لا يهيك في شيء معرفة تجاربه سنفترض  
أنها كانت تدور حول إعطاء عقاقير لم يتم التصريح  
بها من قبل إدارة الـ FAD وما إلى ذلك ..

« ما أريد قوله هو أن للدوائر دارت حول ( إرنست  
كومارسكى ) .. وبدأت التحقيقات تفصح في كل يوم  
عن جديد .. إن الممرضات يتكلمن وحين يبدأن الكلام  
لا يمكن إسكاتهن .. وهنا يجب أن نؤكد لك أن التحقيقات  
ظلت في ( البيت ) .. ولم تتخذ قط أى طابع رسمى ..

« وفي يوم فر ( كومارسكى ) من الوحدة ..  
وانقطعت أخباره تمامًا .. لم يفر بأن يحمل ثيابه  
ويضع نظارة سوداء ويتجه إلى المطار .. بل فر  
بالمعنى الحقيقي للكلمة .. للركض في الظلام والاختباء  
خلف الأشجار ، فلو أضفت إلى المشهد صوت نباح  
كلاب فرق المطاردة لكان فيلمًا سينمائيًا رائعًا ...

« بعد أشهر جاءنا رجال الشرطة بثيابه ممزقة  
غارقة في الدماء .. لقد وجدوها عند إحدى قرى سفح

( كليمينجارو ) وحولها آثار أقدام ضباع .. إن القصة  
واضحة تمامًا والمسكين قد دفع ثمنًا باهظًا لتجاربه ،  
فربما كان مصيره بيننا لا يزيد على الإيقاف أو الطرد  
أو السجن .. لكنه اختار الإعدام بأشنع الطرق ،  
ولم نستطع أن نبعد عن تفكيرنا فكرة أن هذا الرجل  
أحمق ...

« كانت معه هنا زوجته وابنتاه .. وقد غادرت  
الأسرة للتصية ( كينيا ) عائدة إلى ( بولندا ) .. ولم  
تكن لنا حيلة في الشعور بأننا كنا بالفى القسوة معه  
ربما ..

« لكن الأيام تمضى وقد نسينا جميعًا تلك القصة ..  
إن عشرة أعوام تحدث الكثير ..

« إلا أنه في الفترة الأخيرة بدأنا نرى .. لنقل إننا  
نلاحظ علامات معينة توحي بأن الرجل حى ويمارس  
تجاربه من جديد .. إن بصمته على كل شيء ،  
ورجال القبائل الذين يأتون إلينا يتحدثون عن الرجل



الأبيض الذى يعيش فى جبل (كليمجارو) قرب قمة  
(كيبو) .. إنهم يصفونه .. بالضبط يصفونه ..

« هذا جعلنا اليوم متأكدين من أن الرجل حى ..  
بعد عشر سنوات ما زال حياً .. ويمارس تجاربه  
السابقة بذات الحماسة .. »

« وكيف يعيش هناك ؟ معلوماتى هى أن تلك  
القمة مكسوة بالثلج .. كأننا فى القطب .. »

« لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال .. وهذا  
جزء من مهمتك .. أن تجيب عن أسئلة كهذه .. »

فرغت من كوب القهوة فألقيته فى القمامة  
ووضعت ساقاً على ساق ، وقد رسمت على وجهى  
تعبير اهتمام لا بأس به .. على حين واصل (سينوريه)  
الكلام :

« مهمتك يا (علاء) لو قبلتها هى أن تصعد إلى  
الرجل فى الجبل .. تعرف ماذا يريد وتحاول إقناعه  
بالعودة .. لا نريد له أن يتورط أكثر من هذا .. »

هذا ما كنت أتوقعه والإجابة طبقاً معروفة .. إنها  
سؤال آخر :

« ولماذا لا تكلفون الشرطة بهذا ؟ »

تبادل الرجلان النظرات ثم قال (سينوريه) :

« لا نستطيع .. لا يجب أن يرد الأمر فى أوراق  
رسمية أو أن تذكر (سافارى) فى الموضوع ..  
القصة كلها ليست مشرفة ومن الخير للجميع ألا  
يدخل طرف ثالث سوانا .. »

« هذا غريب .. »

ثم قربت وجهى من وجهه وسألته :

« وماذا أقول له ؟ إن الماضى قات وعفا لله  
عما سلف ؟ أصدقائك فى (سافارى) يحبونك ويريدون  
لك الخير ؟ لابد أن الرجل بعد هذه الأعوام والتجارب  
لم يعد يتمتع بقواه العقلية .. من المستحيل أن يجدى  
معه المنطق .. أنتما تضيعان وقتكما .. »



قال (سينوريه) باسمًا :

- « بالفعل سنقول له هذا كله ... إن الرجل لم يكن وحشًا ، واعتقد أن ما فعله كان رد فعل طبيعيًا لشخص واهن التكوين ، لا يتحمل المسؤولية .. شخص كهذا يمكن الكلام معه .. »

- « وإن فشلت ؟ أعرف أتى سافشل لا محالة .. »

- « في هذه اللحظة لن يبقى أمامي سوى الذهاب بنفسى .. سأجثو على ركبتى متوسلاً إن لزم الأمر .. »

أنا أفهم شعوره .. هو لا يريد شوشرة من أى نوع خاصة فى بداية عهده كمدير .. لقد فاجت روائح كثيرة من الوحدة مؤخرًا بدءًا بانتحار (ويلسلى) والمرض الأسود الذى حيرنا وفساد (ستييجورد) .. لم تظهر وحدة (سافارى - 1) قط بهذه السمعة السيئة من قبل .. طبقًا للخبر على قدم الواردين أو هذا تفسيري الوحيد للموقف ..



ثم قرئت وجهى من وجهه وسألته :  
- « وماذا أقول له ؟ إن الماضى فات وعفا الله عما سلف ؟ » ..



أضاف (سترجوود) :

- « لا تنس أنك تصدى بهذا خدمة لصديق .. وأنا  
أعتبرك صديقاً .. »

نظرت للرجلين في برود وتساءلت :

- « كم من الوقت تمنحاني كي أقرر ؟ »

- « يجب أن يكون ريك عندي صباح غد .. »

نهضت ونظرت لهما .. ثم هزئت رأسى ..

واتصرفت بون كلام ...

\*\*\*

قالت لى (برنات) حين عرفت بالأمر :

- « لا أعتقد أن المهمة شاقة إلى هذا الحد ..

ربما كان عليك أن تقبل .. »

هذه زوجة رائعة إذن .. أية زوجة تحترم نفسها

لا بد أن تصرخ وتولول وتضرب صدرها بكفها قائلة  
شيئاً على غرار (يا تدامة ! ) .. لكن هذه زوجة  
عملية جداً لا يرضيها إلا أن أتحمس لاكتساب هذه  
الخبرات الجديدة ..

قلت لها فى غيظ :

- « المهمة تتضمن تسلق جبل (كليمنجارو) لو  
كنت قد لاحظت هذا .. »

قالت بنفس الطريقة البسيطة :

- « إنه من أسهل الجبال تسلقاً .. هو ليس  
(إفريست) على الإطلاق ، وكل الكتب تقول هذا ..  
ثق أنه لولا ظروف الحمل لتمنيت أن ألحق بك فى  
هذه المغامرة الفريدة .. ولو كنت سمعت عنه  
ما يخيف لطالبتك بالبقاء معى .. »

- « بهذه البساطة ؟ »

نظرت فى عيني بصبر وقالت :



- « (علاء) يا بنى .. إن العمر يمضى .. وغداً  
ستقول لنفسك ليتنى تسلفت الجبل حين كان هذا  
بوسعى .. ليتنى غطست تحت المحيط حين كان هذا  
بمقدورى .. ليتنى قفزت بالمظلة من طائرة حين كان  
قلبي يتحمل .. ليتنى قابلت هذا الطبيب غريب الأطوار  
الذى يعيش وحده فى الجبل ولم نسمع عنه قط .. »

الحق أن كلامها لم يبد خاليًا من المنطق .. ثم إن  
روح المخاطرة بداخلى حبيسة تطالب بحقها فى  
الانطلاق .. فى الركض بين الحقول .. فى ملاحقة  
التياتل والفهود .. أى شيء سيكون أفضل من عنبر  
( الغفرينا ) ..

قلت لها وأنا أغمض عيني وأسترخى على  
الأريكة :

- « فلترتبى لى حقيبة الظهر .. ضعى بها كل  
ما يلزم .. »

- « وما هو الذى يلزم ؟ »

- « لا أدرى .. لم أتسلق جبلاً من قبل .. ليكون  
خيالك فى اتساع الأفق .. أريد ثياباً ثقيلة .. ربما  
كذلك .. »

ابتسمت فى خبث ورسمت تعبير ( التشنج )  
الشهير ، وقالت :

- « فتاحة خطابات ! لا يجب أن ننسى هذا ! »

نظرت لها لكنها كانت قد ابتعدت قبل أن انفجر ..

\*\*\*

فى الصباح نقلت موافقتى إلى ( سينوريه ) الذى  
بدا راضياً ..

كان أول مافعله هو أن ناولتنى مطروفاً مقلعاً ،  
وأمرنى ألا أفتحه إلا حين أقابل ( كومارسكى ) فى  
الجبل .. يبدو أنه خطاب استرحام أو يتحدث عن  
( العشرة والعيش والملح ) ..



ثم أضاف وهو يدون خواطر على بعض المذكرات :  
« سيكون معك ( تارو ) .. لن تستطيع العمل  
دون مترجم .. »

قلت في نوع من الاستهتار :

« إن الترجمة لا تساعد على التسلق كثيرا لو  
كنت تفهم ما أعنيه .. »

هتف كأنما أهين :

« أدلة .. طبعا .. هناك دليل سيكون معكما ..  
ربما أكثر من واحد .. »

كنت أعرف دليلاً واحداً ليس لأنه كلى القدرة  
أو عبقرى ، ولكن لأننى جربته من قبل ، وأعرف  
بالضبط مداه وما يريدده وما يخاف منه .. وأجسر  
على القول إننى أرتاح إليه فعلاً ..

قال لى ( سينوريه ) وهو يطلب رقماً على الهاتف :

« سعيد أنا بما يفوق التصور لأنك تفهمت  
موقفى يا ( علاء ) .. ستبدأ التحرك عند الظهيرة ..  
سيكون كل شيء معداً .. »

اتجهت للباب ثم تذكرت شيئاً فاستدرت لأسأله :

« دكتور ( سينوريه ) .. كيف يبدو الرجل  
بالضبط ؟ »

سد السماعه بكفه ونظر لى قليلاً ثم قال :

« هل تصدقنى لو قلت لك إننى لا أذكر ؟ وعشر  
سنوات ليست بالفترة القصيرة خاصة أننى وضعت  
فى خانة الوفيات منذ زمن سحيق .. إنه رجل من  
أصل بولندى .. هذا كل شيء .. لو كان حليق الوجه  
فقد صار ملتحيًا أو العكس ، ولو كان نحيلاً فقد امتلأ  
جسده ، ولو كان بعوينات فقد تهشمت .. »

« إن معلوماتك قيمة حقاً يا سيدى .. »

« هالو ؟ هل ( تارو ) عندك ؟ إننا .. »

كانت المكالمة قد بدأت فهزرت رأسى محييا  
وغادرت المكان .. ومن هذه اللحظة يمكن القول إننى  
لم أعد على قوة الوحدة ..

صرت على قوة (كليمجارو) ..

\*\*\*



- 12 -

رفع (ماسومو) عينيه نحوى .. وقد شعر بأن  
الشمس احتجبت لبعض الوقت مما جعله يفيق من  
غفوته .. وضيق عينيه فى غباء كأنما يتذكر من أنا ..

لم يتغير كثيرا .. ما زال هو الفتى الذى راح  
يبحث معى منذ فترة قصيرة عن (لواما) أم السبعين  
شيطانا .. ذات الشارب الكث والقميص المعقود على  
خصره لأنه لا زر له .. نفس القدمين للحافيتين اللتين  
تحولتا إلى حذاءين سميكين ممتازين ..

ذلك الشجاع العظيم الذى يفعل أى شىء مقابل  
المزيد من الشلنات ..

هذه المرة لم أكن وحدى .. بل كان (تارو) يقف  
جوارى ، ومن بعيد كانت طائرة الهليكوبتر التى  
حملتنا إلى (فوى) تقف فى ذلك الوضع المتململ  
المتأهب للرحيل ، ومروحتها لا تكف عن الدوران



وإثارة الأتربة .. من الغريب أنه لم يصح لدى نزولها  
بل أيقظه انقطاع الضوء ..

قال لى دون أن ينهض :

- « آه يا دكتور .. هل عادت (لواما) من جديد ؟ »

قلت باسمًا وقد سمرنى أن أراه فى نفس المكان  
جوار كشك التحويلة ، وسط بقع المازوت ، ونفص  
الشكل :

- « لا .. المشكلة هذه المرة فى موضع أكثر  
ارتفاعًا .. (كيبو) ! »

صفر بشفتيه .. ثم اعتدل فى جلسته ونظر لى  
و (تارو) وتساءل :

- « هل تعرف كم تكلف رحلة كهذه ؟ »

- « سندفع لك ما تريد .. إن المهمة رسمية هذه  
المررة وليست خاصة بى .. »

هرش رأسه وعاد ينظر إلى أعلى :

- « (كيبو) ؟ هل أنت واثق من ذلك ؟ (كيبو) ؟  
ماذا هناك بالضبط ؟ »

- « ثمة رجل نريده .. »

- « حسن .. ومتى تريد الرحيل ؟ »

- « الآن .. »

عاد يصفر بشفتيه .. ثم نهض وقال وهو ينفض  
ثيابه دون تأثير :

- « ليس الأمر متعلقًا بقوى السفح .. أنت تتكلم  
عن الجبل الأبيض .. لابد من استعدادات مسبقة .. »

- « هذا ما نتوقع منك أن تعاوننا فيه .. »

نظر لى .. وعاد ينظر لأعلى ثم غمغم فى ضيق :

- « سنحضر ما نريد من عند (شارل) .. »

- « لم أعرف بعد .. هل تستطيع القيام بهذه

المهمة ؟ لقد طلبت منك الشيء فنهضت ولم تقل شيئاً .. يبدو أنني لو طلبت منك الرحيل إلى المشتري لوافقت على الفور .. »

لكنه هز رأسه بمعنى أنه يعرف ما يتكلم عنه .. كان هذا خطأ فلاحاً مني كما عرفت فيما بعد .. لا تسبق معلوماتك عن شخص من الشخص ذاته أبداً ، وكما قال (ماركس) قديماً : لا تتعرف اقتصاديات بلد من تقارير البلد نفسه . ولو كانت لندية كرة القدم بهذه السذاجة لاختاروني (كابتن) الفريق القومي منذ زمن اعتماداً على كلامي ..

لكن الفتى تقدمنا إلى داخل البلدة ولم ينس أن يبصق على الأرض ويقغم :

- « (كيو) ؟ .. »

\*\*\*

كان كل شيء عند (شارل) الفرنسي بالفعل ..

لديه الحبال ونظارات سوداء وأوتاد ومطرقة وبعض الرزات والركاب والخوابير .. كما أنه تبرع بحقيبة ظهر عتيقة وثياب ثقيلة لـ (ماسومو) .. لم أتوقع أن الأمر بهذا التعقيد .. المفترض أن هذا الجبل سهل للتسلق ..

سألته في قلبي :

- « هل ترى أننا نحتاج إلى أحذية تسلق ؟ »

نظر إلى أقدامنا وقال :

- « لا داعي .. إن الحذاء الرياضي العادي يصلح

هنا .. لكن هذا .. - وأشار إلى قدمي (ماسومو) -

لا بد من أن يرتدي حذاء .. هل تحتاج إلى مؤن ؟ »

- « نعم .. الكثير من المعليات من فضلك .. إننا

نحمل بعض المؤن لكن لا بأس من الزيادة .. سنملاً

زمزمياتنا قبل الرحيل .. »

من حسن الحظ أن (ماسومو) حمال كذلك .. لقد

بدأت أعتقد أنه لاختيار موفق ..



كان الرجل الفرنسي روتينياً جداً .. يلوك غليوناً وينظر  
لنا من فوق الإطار الأعلى لعويناته ولا يقول شيئاً  
مهماً على الإطلاق .. وحانت منى للتفتة إلى المخزن ..  
فرايت زوجته الإفريقية الجميلة التى هى من قبائل  
( الكيكويو ) .. ( لواما ) الأخرى التى سببت لى بعض  
الخلط .. كنت تصف بعض الأجولة فى المخزن .. والتقت  
عيننا .. لا أعرف إن كنت تذكرتى أم لا ، لكنها ابتسمت ..

فى النهاية أخرج آلة حاسبة صغيرة وراح يدون  
فى فاتورة ، وبحسب ما علينا دفعه .. أعنى ما على  
( سينوريه ) تدبيره من ميزانية ( سفارى ) دون أن يذكر  
الحقيقة .. الموضوع كله مطاط ولو كنت أقل لمئة قليلاً  
لاتفقت مع التاجر على فاتورة فلكية .. إن للمال السائب  
يعلم السرقة ، لكنه لن يعلمنى أنا كما تلاحظون ..

ثم قال لى ( شارل ) وهو ينظر إلى ( تارو )  
و ( ماسومو ) :

- « هل هذان هما فريقك ؟ »

هزئت رأسى أن نعم ، فقال بلا مبالاة :

- « هذا عسير .. ليس للجبل نزهة إلى هذا الحد ..  
كان لديك فى قرى السفح محترفون كثيرون .. »  
- « هل تعتقد حقاً أن الأمر بهذا التعقيد ؟ »

- « ليس مستحيلاً .. ليس هذا ( إفرست ) على كل  
حال .. لقد كان الإنجليز يتسلقون جبال الألب عام  
1750 بثيابهم العالية .. ثياب الخروج والقبعة والعصا ..  
وربما اصطحبوا معهم نساءهم .. لهذا أطلق على  
رياضة تسلق الجبال اسم ألبينيزم Alpinism .. »

وعلى الرغم منى ابتسمت وقد تخيلت هؤلاء السادة  
البريطانيين المتأنقين يصعدون الجبال كأنهم ذاهبون  
إلى سباق الخيل .. والأظرف أننى تذكرت قصة  
افتحام قمة ( إفرست ) .. كان المكتشفون مدججين  
بالمعدات كأنهم ذاهبون إلى كوكب ( زحل ) ، وكان  
معهم دليل من قبيلة ( الشيربا ) المتخصصة فى  
إرشاد المتسلقين .. وكلما وجد الرجال أن شيئاً ينقصهم

أرسلوا الدليل ليحضره لهم .. أى أن الدليل كان يصعد ( إفرست ) وينزله عشرات المرات بلا معدات تقريبًا ، ليحضر علبة تبغ أو جريدة ، وفى النهاية يقف السادة منتصرين على القمة وعلى صفحات الجرائد الأولى ، بينما لا أحد يذكر حرفًا عن الدليل .

عدت لسأل التاجر :

« كانوا يتسلقون بقبعاتهم ؟ »

« نعم .. لكن بعد ربطها بشريط يلتف حول قمة القبة ثم حول العنق .. وبهذا كانوا يعتبرون أنهم اتخذوا أهم التدابير .. هل تحتاجون إلى قلنسوات صوفية ؟ »

« لا .. على الأقل جنبنا هذه معنا .. »

« التيمبتر ( مقياس ارتفاع ) ؟ »

« لا .. سنصعد حتى لا نجد ما نصل إليه ..

عندها سنهبط .. »

« هذا لحسن الحظ لأنه ليس لدى واحد ! تلاحظ أنني لم أعتد أن أقابل من ينوى التسلق ، ومعظم هذه الأشياء التى عندى اشتريتها منذ زمن من بعض المتسلقين الهولنديين .. كان هذا عام 1981 ومن حينها لم يفكر أحد فى التسلق ثانية .. إن ( كليمنجارو ) أجمل بكثير حين تراه من موضحنا هذا .. كما أنه ليس تحديدًا للرجولة يستحق أن ترد عليه .. إن التحدى الحقيقى لرجولتك هو ( الهيمالايا ) .. »

ثم ابتسم وأضاف :

« كل من أراد تسلقه إنما أراد أن يرى قبر ذلك الفهد وسط الجليد .. إنها رواية ذلك الأمريكى .. ماذا كان اسمه ؟ أعنى الأمريكى لا الفهد طبقًا .. آه .. ( هيمنجواى ) .. إنها جعلت الجبل شهيرًا .. »

خرجت لأجد الرجلين يثرثران .. ومن حين لآخر ينطلق أحدهما فى قهقهة إفريقية رفيعة عالية .. من الواضح أنهما يستمتعان بوقتتهما حقًا .. طبقًا هما يتكلمان السواحلية فيما بينهما ..



قال لى (ماسومو) وقد بدأ الركض فعلاً :

« سأذهب لأخبر ماما (بونجوا) ! »

هل له ماما ؟ هذا خبر طيب .. لم يجنوه على غصن شجرة إذن .. صحت به قبل أن يتوارى فى الأفق :

« لا تتأخر ! إن الطائرة تنتظرنا ! »

فقد كان ما قررته هو أننا لن نحتاج إلى رحلة قطار البضاعة إليها ، مع الحاجة إلى الوثب منه .. ستحملنا الطائرة إلى حيث نريد فى دقائق .. أما عن الصعود لأعلى فهو للأسف شيء عسير على الطائرة بسبب الضباب المحيط بالجبل هذه الأيام .. لا بد من الاعتماد على جهودنا الذاتية ..

بعد قليل عاد (ماسومو) ركضاً ، وعلى الفور فهمت سبب المشقة التى يعانيتها .. إن فى قدميه حذاء وبالتالى يشعر بأنه وضع فى قفص .. كما أنه وضع ثياباً أثقل .. على قدر علمى لا يوجد فى العالم

كله دليل واحد يمكن أن تقتعه بالرحيل ويستعد له خلال خمس دقائق إلا هذا الفتى ..

وصل لنا لاهثاً فقلت له :

« لماذا لم ترتد كل شيء ؟ لقد منحك الفرنسى ثياباً مناسبة .. »

« ليس الآن .. ارتد ثيابك الثقيلة فقط حين تصل لمنطقة الثلوج ، وإلا لما شعرت بالفاء على الإطلاق .. »  
كلامه منطقى .. دع الثياب إلى اللحظة التى تشعر فيها بأنك تتجمد ، عندها ترتدى الثياب الثقيلة وتشعر بتحسن .. أبقي ورقة أخيرة لم تلعبها ولا تلعب كل أوراقك من اللحظة الأولى ...

الآن كان الغروب يقترب ، وقلت له فى توتر :

« هل ترى أن ننتظر الليلة هنا ؟ »

قال وهو يحمل الحقيبة على ظهره :

« لا .. إن المسافة التى هى أقرب إلى المشى

طويلة جداً .. لو بدأنا الآن يمكننا أن نبدأ التسلق مع  
بزوغ الشمس .. »

من جديد ما زال هذا الفتى منطقياً ..

وهكذا مشينا إلى طائرة الهليكوبتر التي كان  
قائدها قد أوقف محركاتها فأخبرته بخطتنا ..

— « والعودة يا دكتور ؟ »

— « سنعود بالقطار إلى ( فوى ) .. ومن هناك نتصل  
بـ ( سافارى ) طالبين قدومك .. نحن لا نعرف ماذا  
ينتظرنا هناك .. »

وركبنا الطائرة .. وبدأت المحركات تهدر ومن  
جديد شعرت بهذا الشعور الكريه .. أنني أتحدى  
قواتين الجاذبية وأستحق أن أعاقب بالسقوط وتهشيم  
عظامي كلها ..

لكن المشهد المثير حقاً كان ( ماسومو ) ..

لقد راح يرتجف ويرتعش ويتوتر ويتكور ويهتز ..

واتسعت عيناه حتى صارتا ككرتي البنج بونج ..  
ذكرني منظره بالقط الذي تحاول أن تلقى به في  
بركة ماء ..

لحسن الحظ أن الرحلة لن تكون طويلة حتى  
لا يصاب بسكتة قلبية ....

وتتهدت ونظرت إلى الأرض من تحتنا .. بينما  
الأفق يصطبغ بلون الغروب الأرجواني المهيّب .. هل  
هو النذير ؟

ماذا تفعلين الآن يا ( برنادت ) ؟ ماذا تفعل الآن  
يا دكتور ( كومارسكى ) ؟

ماذا تخبئ لنا الساعات التالية ؟

\*\*\*



فى العام 1848 قدم المبشر الألمانى ( يوهانس ريمان ) تقريراً عجيباً إلى الجمعية الملكية الجغرافية .. قال فى هذا التقرير إنه كان يجول قرب خط الاستواء حين قابل جبلاً يغطيه الثلج .. كان هذا أقرب إلى هلاوس المستكشفين على غرار الناس للقردة والعلاقة ذوى العين الواحدة .. الخ ..

لم يصدقه أحد .. ورفضت الجمعية بتاتا فكرة أن يغطى الثلج جبلاً قرب خط الاستواء ..

إلا أن الجمعية اعترفت بالأمر فى عام 1861 .. إن سبب تراكم الثلوج هو ارتفاع الجبل .. وفى العام 1889 جاء الألمانى ( هـ . ماير ) ليتسلق الجبل ويصل لقمته .. وقد أطلق عليها اسم ( قمة القيصر فلهم ) .. تعرف الكتب الجغرافية أن جبل ( كليمنجارو ) هو

أعلى جبل فى إفريقيا .. وهو فى الحقيقة بركان خامد .. فوهته فوهة بركان مغطاة بقلنسوة من الثلج . ويجب أن نقول للدقة إنه يعتبر جغرافياً فى شمال شرق ( تنزانيا ) لكن سفحه موجود على الحدود بين ( تنزانيا ) و ( كينيا ) .. إنها تلك النقطة على الخارطة حيث يصعب رسم الحدود ، وحيث لا تلقى القبائل بالاً إلى حقيقة أنها فى ( كينيا ) أو ( تنزانيا ) .. ولأسباب كهذه نجد أن السيطرة على الحدود بين باكستان وأفغانستان أمر شبه مستحيل ..

أريت هنا أن أقول إننا فى الحقيقة إذ نتسلق الجبل تدريجياً إنما كذلك نعبّر الحدود إلى ( تنزانيا ) .. على بعد 320 كيلومتراً من خط الاستواء ..

\*\*\*

كانت للطائرة الآن تحوم حول الجبل الجاثم كالكلبوس فى الأفق .. وكعادة ( كليمنجارو ) تشعر دوماً أنه أقرب إليك من جبل الوريد ثم تدرك أنه بعيد جداً ..

من هذا الوضع وعلى هذا الارتفاع يمكننى أن أرى أن له قمتين .. وهو ما لم أتبينه من على الأرض قط .. القمة الأعلى كانت هناك فى الغرب فى مواجهة الأفق الذى اختفت منه الشمس الأخيرة من اللون الأرجوانى ، وصار أقرب إلى الزرقة ..

كان (ماسومو) قد هدا بعض الشيء .. فقال فى عصبية :

- « هذه العالية هى قمة (كيو) .. الأخرى هى (ماونزى) .. تقول الأسطورة إن (كيو) و (ماونزى) كانا جارين سعيدين .. ذهب (ماونزى) إلى جاره وطلب ناراً فأعطاه بعضها .. انصرف وفى الطريق قرر أن يداعب جاره مداعبة ثقيلة فتخلص من النار وعاد له يشكو من أنه أضاعها .. هكذا أعطاه (كيو) المزيد من النار .. انصرف وفى الطريق قرر أن يداعب جاره مداعبة ثقيلة فتخلص من النار وعاد له يشكو من أنه أضاعها .. هكذا .. »

قلت فى نفاذ صبر وقد بلغت روى الحلقوم :  
- « هكذا أعطاه (كيو) المزيد من النار .... المهم ..  
إن تستمر هذه القصة للأبد .. »

ابتسم (ماسومو) وقال :

- « هذا بالضبط ما شعر به (كيو) بعد تكرار الدعابة ، فانقض على جاره ومزقه إرباً .. لهذا صار الجار (ماونزى) أى (الجريح) .. بينما تلتطخ المعتدى بالدم فصار (كيو) أى (المبقع) .. لا تنس كذلك أن (الماساى) كانوا يطلقون على قمة (كيو) اسم (نجابى نجابى) أى (بيت الله) .. »

- « أعرف .. وأعرف أن الألمان يطلقون عليها (قمة القيصر فلهم) .. يبدو أن (كيو) هذه حيرت الناس دهرًا .. »

قصة جميلة كما ترى لكنها لا تفيد كثيراً فى تسليق هذا الشيء المرعب الجاثم كالكابوس أو ديناصور نائم فى الأفق .. إنه نائم فلا توقظوه يا حمقى ..



وبدأت الطائرة تدور حول نفسها ببطء ثم بدأت  
تتحدّر لأسفل .. لأسفل ..

وفي النهاية لامست الأرض ...

قال لنا الطيار :

- «وصلنا يا سادة .. أتمنى لكم حظًا غير عاثر ..»  
وترجلنا .. وابتعدنا على أقدام من عجين ، بينما  
الوحش المجنح يدير مروحته ثم يرتفع فوق  
الرعوس ، وقد أضاء كشافاته لأن الظلام بدأ يحل ..  
مما ساعد في إعطائه صورة الوحش الأسطوري ..  
الوحش الذي ألقى بأطفاله متخليًا عنهم ..

قال (ماسومو) وهو يشير إلى الجبل الجاثم في  
الظلام :

- «هذا هو .. اعتقد أن بوسعنا المشى عدة  
ساعات أخرى ..»

\*\*\*

كان من العسير في هذا الظلام ، وأنا مع الرجلين  
أن أعرف أن (أسامبورو) سمع الصوت يتردد من  
جديد ...

حاول أن يتناسى الأمر .. تشاغل بالعمل ..

كان يقطع بعض سباطات الموز بسكينه الملتوية  
للحادة ، بينما زوجته تعلقان ما يقطعه على خطاطيف  
متدلية من سقف الكوخ ... إن الموز محصول مهم  
بالنسبة لقبائل (الكشا) .. ربما هو المحصول الوحيد ..  
لكن الصوت كان يتعالى ، وغدا من الصعب أن  
تتجاهله ..

قالت له زوجته الشابة (مونا) :

- «ضباع .. هذا واضح ..»

كان قد قدم لأبيها بعض المناحل وبقرة كي يظفر  
بها ، وبالنسبة لزوجته الأخرى لم يكن الأمر يعني  
إلا خبرًا طيبًا .. هذه يد عاملة جديدة تقاسمها مشاق

الحياة الكارثية .. هنا تعتبر الغيرة نوعًا من الترف  
لامجال له .. أما عنصر الجاذبية الأهم في المرأة  
فهو قوتها .. لا بد من أن تكون بارزة عضلات  
الساقين والذراعين وأن تكون طويلة القامة كي  
تساعد زوجها .. وحقًا كانت (مونا) قوية ..

قل (أسامبورو) وهو يرفع نصل الخنجر في الهواء :

- « لا .. ليست الضباع .. أنت تقولين هذا  
يا امرأة .. لكنك بلهاء .. »

هي كذلك كانت تعرف أن هذه ليست الضباع ..

كانت تعرف أن هذا هو الشيء الذي يتحدث عنه  
أهل القرية ، وقد تمننت لو أن (أسامبورو) لم يتخذ  
كوخه خارج القرية بسبب شجاره مع أخيه ..

كانت تعرف ما يحدث بالخارج ..

لكن (أسامبورو) في هذه المرة كان أكثر شجاعة  
من ليلة أمس .. لقد حدث الشيء ذاته أمس ، وجبن

عن الخروج فقط ليجد أن خلايا النحل الموضوعة  
بالخارج قد تم العبث بها .. هناك خلايا مقلوبة  
وأخرى فارغة تمامًا .. هذه الليلة لن يتكرر الأمر ..

نسيت أن أقول لكم إن تربية النحل هي مصدر  
الدخل الثاني لقبائل الشاجا .. وتدمير خلية النحل  
بالنسبة لأسرة لا يختلف كثيرًا عن حرق دارها ..

قال وهو يتجه إلى باب الكوخ :

- « إنها تلك الأشياء القادمة من (كيو) ..  
صاعرف كيف أدبرها .. »

- « لا تفعل .. أرجوك لا تفعل .. »

نظر لها بغيظ واحمرت عيناه حنقًا ، وهتف :

- « وأنا أتساءل يا امرأة من الأمر الناهي هنا ؟  
الرجل أم المرأة ؟ »

طبعًا كان الرجل لهذا صمتت ووقفت متصلبة على  
حين غادر هو الباب والخنجر في يده ..

\*\*\*



أيضاً كان من التصير في هذا الظلام ، وأنا مع الرجلين  
أن أعرف أن (سينوريه) ظل جالساً طويلاً جداً إلى  
مكتبه .. كأنما لا يجد الطاقة اللازمة كي ينهض ..

في النهاية دخل من الباب رجل أسود مغبر ، امتزج  
للعرق على بشرته بالتراب .. به الطيار الذي أوصلنا  
إلى سفح الجبل .. كان قد عاد تواً من رحلته الليلية ..

نظر له المدير قليلاً ثم سأله :

- « منذ متى تركتهما ؟ »

- « وصلوا إلى السفح في الساعة مساءً يا سيدي .  
إنهما لم يعودا اثنين .. معهما ذلك الحمل من  
(فوى) .. »

- « وهل هناك ما يريب في المنطقة ؟ »

فكر الطيار قليلاً ثم غمغم :

- « أنت أمرتني ألا ألفت نظرهما .. لكن ذلك الوهج

الأرق كان يتصاعد من (كيو) من حين لآخر ..  
كما توقعت أنت بالضبط يا سيدي .. »

- « هل رأيت بعضها ؟ »

- « لم تتح لي الفرصة يا سيدي .. ليس في هذا  
الوقت المبكر .. »

- « حسن .. لنأمل أن تمر الأمور على خير .. »

وأشار برأسه إشارة لتيقة إلى الطيار كي ينصرف ..

\*\*\*

في هذا الوقت كنا نمشي خطواتنا الأولى في تلك  
المسيرة الشاقة ..

إن أمامنا سهلاً مترامياً بعده تبدأ غابات متشابكة  
معقدة تمتد لمساحة لا بأس بها ... بعد هذا نمر  
بإقليم جميل يشبه جبال الألب التي لم أرها . ثم يبدأ  
صخر بركاتي قائم ، بعدها ندخل منطقة الثلوج ...

ولقد مشينا مسافة لا بأس بها فى تلك المساحة  
المسطحة المترامية ، حتى صار للظلام حقيقة واقعة ..  
فلم تكن تلك من الليالى التى يميزها قمر أو سماء  
صافية ..

الحقيقة أننا لم نبدأ بعد .. لم نبدأ على الإطلاق  
لكننى أشعر بالبرد يكسو أطرافى .. أشعر به يمزق  
عضلاتى بخنجره الثلجى ، ويدفن النصل عميقاً فى  
نخاع العظام .. البرد سادى قاس ..

قال (ماسومو) :

« هنا نصكر ... إن الماضى قدما فى الغابة فى  
هذا الظلام معناه الموت الأكيد .. »

\*\*\*

- 10 -

كانت خطة (ماسومو) هى أن نقرب من الأخ  
(كيبو) المبعق من الناحية الشرقية حيث تندر  
الثلوج ، والسبب هو أن تياراً من الهواء الدافئ يغمر  
تلك المنطقة ..

وقد جلسنا فى العراء .. فلو كان معنا شاعر  
عربى قديم لقال إننا افترشنا الغبراء والتحفنا  
السماء .. لكن كانت معنا أغطية ، وقد بحثنا عن  
أخشاب جافة تصلح لإشعال النار .. ثم قداحة وسائل  
إشعال الموقد .. وكنت أتوق إلى بعض الشاى لهذا  
جلبت بعضه معنا ..

قام (ماسومو) بوضع ثلاثة أحجار عالية لتشكل  
الأنافى كما كان العرب يصنعون .. على أن العرب  
كانوا يكتفون بحجرين ويعتمدون على الجبل نفسه  
كحجر ثالث ، ومن ثم ولد تعبير (ثلاثة الأنافى) ..  
أى المصيبة التى فى حجم الجبل ..



أخيراً راح الشأى يقلى ، وكانت معى أكوام ورقية ..  
إن رائحة الشأى الحميمة الدافئة كفيلة وحدها بأن  
تجعلك تشعر بالتحسن .. أعصابك تفيق من سباتها  
وتورق وتتفتح كالأزهار ..

وبدأت أشعر بأننى قوى قادر .. وأنتى لست أحمق  
إلى هذا الحد .. تجربة جديدة مثيرة لا خطر منها  
على الأرجح ، وسوف تختصر أيامى الباقية فى  
( كينيا ) ، لأننى عند العودة لن يكون أمامى إلا حزم  
حقائبى والعودة إلى مصر .. وبالنسبة لـ ( برنادت )  
سأكون ذلك البطل الذى قهر ( كليمنجارو ) ..  
وسوف أحكى هذه القصة عشرين مرة على المقهى  
فى مصر أمام عيون رفاقى المرتابة غير المصدقة ..  
سيتهموننى بأننى ( أنزع ) حسب تعبيرهم ، وسوف  
يسررنى أنهم لا يصدقون لأنهم لا يعلمون ..

هنا توقفت عن ( النزع ) لأننا سمعنا صوتاً غريباً  
قائماً من وراء الأشجار .....

\*\*\*

نوخ .. نوخ .. نوخ !

نوخ .. نوخ .. نوخ !

نوخ .. نوخ .. نوخ !

ما هذا بالضبط ؟

دون كلام كثير مد ( تارو ) يده فى الحقيبة فأخرج  
المسدس الذى أعطونا إياه .. كان معنا مسدسان على  
مبيل الاحتياط ولا أنكر أنهما كاتا يشعراثنى ببعض  
الراحة ..

لكن ( ماسومو ) ظل فى وضعه السابق يتسلى  
ببعض البرتقال كعادته .. إنه لا يكف عن التهام  
البرتقال حتى وهو يموت .. فقط نظر للوراء وقال  
فى هدوء :

.. « خنزير برى على الأرجح .. المنطقة تعج بها .. »

وكنت أعرف كل شىء عن هذه الخنازير البرية  
التي يتضح أنها ليست كذلك .. إن القصص مليئة  
بها ..

نوخ .. نوخ .. نوخ !

نوخ .. نوخ .. نوخ !

الصوت يقترب أكثر .. تصلبت في جلستى .. ومددت  
يدى إلى (تارو) وعيناي لا تفارقان الأشجار :

« ناولتى المسدس الآخر .. »

وأمسكت بالمعدن البارد الثقيل فى يدى .. كان  
نطاق الأشجار شبه غائب وسط الظلام إلا من ضوء  
لهبنا الرقراق .. سيظهر الشيء فى أية لحظة كأنه  
الكابوس ، مبهما غامضا يصعب أن تتبينه بوضوح ..  
ولسوف ينقض علينا مسرعا قبل أن نستوعب الحقيقة ..

نوخ .. نوخ .. نوخ !

نوخ .. نوخ .. نوخ !

هنا رأيت ذلك الشيء الذى يقترب حجمه من العجل  
الصغير ، وهو يعبر المسافة بين شجرة وأخرى  
بسرعة .. وسرعان ما توارى كأننا لم نره قط ..



دور كلام كثير مد (تارو) يده فى الحقيبة فخرج المسدس  
الذى أعطونا إياه



قال (ماسومو) فى وقار دون أن يتحرك أصلاً :

- « كما قلت لكما .. هذا خنزير برى .. »

- « وهل هو خطر ؟ »

- « خطر كالجحيم فقط لو شعر بأتك

أنت الخطر .. »

وعاد مستوى (الأدرينالين) ينخفض فى دمننا

واسترخت عضلاتنا قليلاً .. ثم بدأ صديقناى

الإفريقيان يتكلمان بلغة لا أدرى إن كانت السواحلية

أم لا .. هذا يضايقتنى فى الواقع ويحرك لدى مشاعر

(الباراتويا) .. ربما كاتا يتكلمان عنى .. ليس من

التهديب أن يتهامس اثنان ويتركا الثالث .. لكن لن

أضغط عليهما على كل حال .. لن أرغمهما على

الكلام بالفرنسية أو الإنجليزية لأفهم بينما هما

يملكان حذاءهما القديم المريح ..

الدفء .. الدفء ..

حقاً إننى أوشك على النوم .. هل من المفترض

أن تنظم ورديات حراسة ؟ فتحت فمى لأقول هذا  
لكنى لم أقله قط .. فقط خرج من فمى شخير طويل  
لأننى غبت فى عالم الأحلام ..

بالنسبة لرجل من قبائل (الشاجا) كان (أسامبورو)  
عملاقاً .. وكانت العضلات تتزاحم فى ذراعيه فلا تجد  
موضعا لنفسها .. لكن إحدى قدميه كانت مبتورة  
الأصابع بسبب فأس سقط عليها منذ زمن ..

شديد المراس وهو يتقدم خارج الكوخ حاملاً  
خنجره ومشعلاً فى يده الأخرى .. وكان يعرف أنه  
لو واجه أسداً لقهره .. إن موضوع خلايا النحل التى  
تلفت لا يمكن تجاهله .. ولسوف يجعل الدم يغلى فى  
عروقه لحظة الالتحام ..

كانت الساحة فارغة .. خلايا النحل الباقية ساكنة  
وفى خير حال ، ولو لم يكن قد قدم بقرته مهراً  
للمرأة لاستطاع أن يتبين من حالتها العصبية وجود  
خطر ما ..

إنها ليلة باردة .. نجوم السماء أقل ألغاً ، وهناك  
سحب لا بأس بها ..

من بعيد يرى قمة ( كيبو ) .. وهذا يمنحه الكثير  
من الاطمئنان .. إن أهل قبائل ( شاجا ) يحبون  
( كيبو ) ويريدون ألا يذهبوا إلى مكان لا يرونها  
فيه .. بل إنهم حين يموتون يحرصون على أن  
يدفنوا ووجعهم نحوها ..

وفجأة رأى ما كان يخشى أن يراه ..

كل ما يقال حقيقى إذن ...

لا توجد أساطير تحكيها النسوة العجائز ..

إن ( أسامبورو ) عملاق شديد المراس ، لكنه ألقى  
بما فى يده .. ألقى بالخنجر والمشعل .. وصرخ ..  
صرخ ..

استدار ليجرى ناسياً تفصيلاً مهماً : إن الأرض  
مكسوة بالقش ، وقد سقط المشعل عليه ..

هذه تفاصيل لا يلاحظها الذين يركضون وقد أفقدهم  
الهلح صوابهم .. ثم إلى أين تمضى يا ( أسامبورو ) ؟  
أنت تعرف أن كل الاتجاهات محاصرة ..

أنت تعرف أنك لن تهرب طويلاً ..

تعرف أن النساء يصرخن الآن فى الكوخ الذى  
أمسكت به النيران .. تعرف أن النيران ستحاصرك  
حالا ..

تعرف أن هذا المصير أفضل لهن ، لأنهن لو  
خرجن لرأين ما تراه الآن ، وهذا ليس من مصلحة  
أحد ..

مشكلة من يواجهون الموت أنهم لا يدخرون  
قواهم ويبددونهم فيما لا يفيد ، كأنهم يعرفون أنه لم  
تعد بهم حاجة لها بعد اليوم ..

\*\*\*



إنه الصباح ..

صباح بارد بحق لكنه صباح .. وما زلنا أحياء ..  
وحتى حين حركت ساقي تأكدت من أن الفهود لم  
تقضم إصبعًا أو إصبعين ..

كان (ماسومو) قد استيقظ منذ فترة ، وجلس  
جوار النار يعد لنا بعض الشاي .. ثم أخرجت من  
حقيبتى بعض البسكويت ورحنا نلوك ونرمق الأفق ..

للمرة الأولى منذ بدأت المغامرة أرى (كييو) فى  
ضوء النهار .. إنه رائع الجمال بحق .. يمكن أن  
تتصوره لو تخيلت قمعا مقلوبًا من الثلج ، أحطت  
قاعدته بثلاث حلقات .. الأولى من أسفل هى غابة  
كثيفة من أشجار متشابكة .. ثم يلى هذا إقليم جميل  
مزهر .. ثم إقليم صخري عار من النبات تمامًا .. بعد  
هذا يأتى الجليد الأبيض الفاتن .....

أما أجمل منظر يمكن أن تتخيله فهو سرب من

الغزلان يمشى أمامك .. يمشى بلا وجل ولا اهتمام  
كأنه يعرف أنه صاحب الأرض وأنت الغريب غير  
الجدير بالاهتمام ..

على أنه حاد السمع حقًا .. فقد ناديت (تارو)  
لينهض من النوم فرأيت الغزلان تجفل على بعد ..  
قال (ماسومو) وقد خمن ما يدور فى رأسى :

- « القرون يا دكتور .. القرون .. »

- « آه .. نعم .. القرون .. »

لكنى فى الواقع لم أفهم على الإطلاق ما يريد  
قوله ، فأردف وقد رأى حيرتى :

- « القرون تجسم الصوت بالنسبة لهذه الغزلان ..  
وبالتالى سمعها مرهف جدًا .. أضف لهذا أن لحمها  
كريه المذاق مما يجعلها فريسة غير محببة لدى  
الوحوش .. لقد ذقته مرة .. تفو ! »

وبصق بصقة كبيرة على الأرض ليبرهن لى عن  
إشمتزازه ثم أردف مستمتعًا بدهشتى :

- « هل تعلم أن أنثى هذا النوع من الغزلان تفقد راحتها عند الحمل ؟ هذا يحميها في تلك الفترة الحرجة التي لا تجيد فيها الركض السريع .. »

غمغت في انبهار بالعربية :

- « سبحان الله .. »

فيما بعد عرفت أن هذه المعلومة حقيقية ، وإن استبعت ذلك في هذا الوقت .. خيل إلى أن ( ماسومو ) يحكى الكثير من الخرافات ليبدو عليماً خبيراً ..

أو كما يقول الإنجليز ( السيد - يعرف - كل - شيء )  
.. ( Mr - Know - it - all ) ..

بدأنا السير من جديد .. متجهين إلى قمة ( كيبو ) ..

وكان علينا أن نعبر مسافة طويلة من غابات شجيرة ( وائل ) بزهورها الذهبية .. إنها شجرة مهمة ينزع القوم قشورها هنا ويجففونها ثم يصدرونها ، من أجل استخراج صبغة برتقالية منها .. كما أن تلك

الأخشاب كانت تستخدم وقوداً للقطارات .. الحقيقة أن هذا الشجر يستزرع في مناطق عدة من ( كينيا ) لأهميته الاقتصادية ..

من بعيد ترى مراعى يحتشد فيها البقر والماعز .. وهو بقر يختلف عما نعرفه بلونه الأسود والبقع البيض على ظهره ، وذلك السنام الذى يعلو مؤخر عنقه ..

كانت مسيرة بلا أحداث ، وإن راح الإفريقيان يزجيان الوقت بأغنية مملة للغاية لكنها تضحكهما .. ويبدو أنها مليئة بالتلميحات البذيئة ..

وكما يحدث لمن يمشى مسافة طويلة ، تحرك مخزون الذكريات في أعماقي .. ورحت أسمع وربما أكلم أمى .. أخى .. ( برنات ) .. الطفل ..

اتحنيت بجبهتى للأمام جبهتها ، وكنت قلقاً بحق .. نظرت في عينيها الصافيتين الزرقاوين اللتين أغرق فيهما في كل مرة .. وقلت لها بصوت مبحوح :



- « هل ستحافظين على نفسك من أجلى ؟ »

- « بالتأكيد .. »

- « لا حماقات ولا تصرفات غير مدروسة ؟ أنت مسنولة عن طفل الآن .. لا تعتقدى أنك بارعة إلى الحد الذى تحسبين .. »

- « أنا بارعة .. لكنى سأقبل العكس لأريحك .. »

- « لن تنزعى القابس وأنت حافية القدمين .. أتمنى لو كففت عن هذه العادة .. لن تقفى فوق المقعد لتصحيح وضع اللوحة .. خذى الحذر من إبر المحاقن .. لا داعى للخروج ليلاً لاستنشاق الهواء النقى .. عندما يسعل مريض الدرن فى وجهك ليس أسهل من أن تباعدى بدلاً من التظاهر بالحنكة والشجاعة .. »

لكنى كنت أعرف أن الحمقاء عبقرية .. مستجد كارثة ما لم أفكر فيها قط .. سوف تركض دون احتراس فى الردهة لتصدم بقدمها شيئاً ما وتسقط

أرضاً .. وعندها يحدث الإجهاض وتنزف وتموت .. سوف تفتح الصنبور دون احتراس ليحرق الماء الساخن وجهها .. سوف .. .. ..

أصارك القول إن بعض هذه المواقف أثار غيظى حتى تمنيت أن أهشم رأسها ، أو أقتلها بنفسى وأستريح بدلاً من تركها لتموت بحماقتها .. إنها ليست غبية .. هى تعرف فعلاً كيف تحمى نفسها .. إنها تجيد تدبير أمرها ، لكنى الآن وأنا على هذه المسافة أشعر بأننى لن أراها ثانية ..

لم أدر أننى غرقت فى هذه اللخواطر بضع ساعات كاملة ، لكنى أفقت على صوت (ماسومو) يخبرنى أن هناك قرية ، وأنه من الخير لنا أن ندخلها .. لقد خرجنا من حرش من الأشجار إلى فرجة واسعة أقيمت فيها قرية ، لكن نطاق الأحرار لم ينته بعد ..

\*\*\*

تمتاز قرى ( الشاجا ) كما قلت بشيئين مهمين :  
الموز والمناحل .. هذا هو ما تلاحظه فى كل خطوة  
تخطوها داخل السياج المحيط بها ..

ربما هناك ملحوظة أخرى هى أن هؤلاء القوم  
أقوياء البنية حقاً .. ودودون جداً .. تراهم يتعاملون  
مع النحل فى خلاياه بلا أية معدات ولا شيء يغطى  
وجوههم أو أجسامهم العارية .. فقط من يدس يده  
فى الخلايا يحرص على أن يدهن جسده بالطين الذى  
يجف فيشكل ما يقيه من اللدغات ، ولا بأس من  
لفافة تبغ يقال إنها تهدئ النحل قليلاً ، فمن الواضح  
أن النحل الجبلى هنا على خلق ..

لقد جلسنا فى ساحة القرية بينما الأطفال يلتفون  
حولنا ويتصايحون .. وجاء بعض الكبار يرحبون  
بنا ، ويقدمون لنا الموز الممهور بدلاً من الكاسافا  
لحسن الحظ .. لكنك تتساءل طيلة الوقت : كيف  
يمهكون الموز ؟ لا توجد طريقة ميكانيكية لهذا على  
ما اعتقد ..

كل شيء هنا مزيج من الموز والعسل .. خبز من  
الموز .. شراب من الموز والعسل .. لن أندعش لو  
وجدت عندهم لحماً مخلقاً من الموز ..

وكانوا يتكلمون بلغة لم أعرفها لكن ( تارو ) راح  
يتكلم معهم بطلاقة بالسواحلية ، وراح ينقل لى  
ما يقولون .. ولم يقولوا إلا ما هو متوقع ..  
من أنتم ؟ إلى أين أنتم ذاهبون ؟ لا تذهبوا ..  
المكان خطر ..

هذا شيء متوقع ومعروف .. كل أهالى القرى  
يقولون هذا للغرباء ، منذ توقف ( هاركر ) فى  
( بوكوفينا ) بانتظار العربة التى ستحملة إلى قلعة  
الكونت ( دراكيولا ) .. لكننا متصلبو الرأس ولن  
نفعل ..

كان القوم يؤكدون مبدئين مهمين : أولاً الجبل  
خطر ونحن نبدو مجموعة من الهواة .. ثانياً هناك  
تلك الأشياء التى تهبط من قمة ( كيبو ) .. الأشياء  
التي لا اسم لها ، والتى لا داعى لوصفها ..

« إنها تقتل الناس .. »

كذا قال ( تارو ) لى وهو يترجم كلام امرأة عجوز  
تستند إلى عصا وترمقنا فى حدة ..

سألته وأنا لا أرفع عينى عن العجوز :

« ما نوعها ؟ هل هى وحوش مثلاً ؟ فهود ؟ »

« تقول إن أحداً لا يعرف بالضبط .. لقد ظهرت  
هذا العام ، وكل ( الشاجا ) خائفون .. يقولون إنها  
أرواح الجبل تأتى من ( كيبو ) .. »

بدأت أفهم .. هذه هى القصة دائماً .. والحقيقة  
أننى تعلمت من دراستى لحياة ( بروس ) و ( ثيوبولد  
سميث ) الطبيبين العظيمين أن الأهالى المحليين  
لا يتلفظون بالخرافات دوماً .. أحياناً يكون هناك أساس  
حقيقى لما يقولون ..

ما علاقة هذا بما قاله لى ( سينوريه ) ؟ هل  
لـ ( كومارسكى ) دخل بهذا ؟ مصادفة غريبة بعض  
الشيء .. ماذا قال لى ( سينوريه ) بالضبط ؟ قال :

« لنقل إننا نلاحظ علامات معينة توحى بأن الرجل  
حى ويمارس تجاربه من جديد .. إن بصمته على كل  
شئ ، ورجال القبائل الذين يأتون إلينا يتحدثون عن  
الرجل الأبيض الذى يعيش فى جبل ( كليمنجارو )  
قرب قمة ( كيبو ) .. إنهم يصفونه .. بالضبط  
يصفونه .. هذا جعلنا اليوم متأكدين من أن الرجل  
حى .. بعد عشر سنوات ما زال حياً .. ويمارس  
تجاربه السابقة بذات الحماسة .. »

سألت ( تارو ) :

« هل المرأة سمعت عن رجل أبيض عند  
( كيبو ) ؟ »

هنا كان تصرف العجوز محيراً .. لقد تقلص  
وجهها ثم ابتعدت عنا متوكة على عصاها ، دون  
كلمة واحدة .. كأنما الشيطان يطاردها ..

واضح أنها سمعت عن رجل أبيض عند ( كيبو ) ...

\*\*\*



قبل الغروب واصلنا التحرك .. ولا أعرف لماذا  
أضغنا كل هذا الوقت في القرية ، لكننا على الأقل  
تروينا ببعض المون .. لكننا لن نجسر على اجتياز  
الأحراش الكثيفة لليلة .. لابد من مخيم ..

مشينا كثيرا جدًا حتى شعرت بإرهاق حقيقي ..  
والغابة المتشابكة أمامنا لا يبدو لي أننا ندنو منها ..  
سألت ( ماسومو ) وأنا ألهث :

- « إتنى ألهث من أجل الهواء .. لا أعتقد أننا  
لارتفاعنا بما يكفي .. »

قال في دهشة وهو يلهث بدوره :

- « لم نرتفع ؟ إتنا لم نكف عن الصعود لكن  
المنحدر قليل الميل مما يوحي لك بأننا لا نصعد .. »  
وقال ( تارو ) الذي كان أكثر ثقافة إلى حد ما :

- « هذه هي الدرجة الأولى من صعود الجبال ..  
حيث تشعر بأنك تمشي .. ويمكنك عدم استعمال  
الأيدي على الإطلاق .. بعد هذا تبدأ الدرجة الثانية  
حين تضطر إلى استعمال الأيدي .. »

انتابني التوتر .. كم درجة هنالك يا ترى ؟ وما هي  
درجة هذا الجبل ؟

قال ( تارو ) :

- « خمس درجات .. الدرجة الخامسة لا يمكن تسلقها  
إلا باستعمال الركاب والريزة والحبال المتدلية .. لأن  
الجدار يكون رأسياً بالكامل ! »

- « وكم درجة هذا الجبل وحياة والدك ؟ »

لمعت أسنانه البيضاء في ضوء الغروب وضحك  
قائلاً :

- « خمس درجات يا دكتور ! لكن لا تقلق .. نحن  
نتخذ مساراً قليل الانحدار أو هذا ما يحاول ( ماسومو )  
عمله .. »

وأخيراً وصلنا إلى المكان المختار للمسكر ..  
بعيداً عن الأشجار كلها لأنه لا أحد منا يحب أن يرفع  
رأسه لأعلى ليجد فهذا ينظر له من فوق الشجرة ..

والحقيقة أنني صرت منهكاً بحق .. أحتاج إلى  
بضعة أيام من التأقلم على المرتفعات ، حين تتعلم  
كليتاي أن تفرزا المزيد من الكربونات .. ويتعلم  
طحالي كيف يضحخ دماً أكثر كثافة في كرياتة  
الحمراء ..

حتى ذلك الحين أريد أن أجلس وألهث وأنزع  
حذائي ...

كانت هذه الثامنة مساءً ..

وفي التاسعة مساءً هاجمنا أول ضبع ...



- 8 -

لو كفت الضباع عن تلك العادة السخيفة - عادة  
إطلاق الضحكات الماجنة - لفوجئنا بها بيننا ..

لكننا سمعنا للضحكات لحسن الحظ ، وتجمدت الدماء  
في عروقنا ، وفي لحظات كان المسدسان في يدي  
ويد (تارو) .. أما (ماسومو) فقد اكتفى بسكين حاد ..  
وبشكل غريزي صنعنا بظهورنا دائرة حول النار  
حتى لا تهاجم الضباع أحداً من ظهره ..

تباً لها من مخلوقات كريهة ! إن الضبع العادي  
أكبر بكثير من الكلب .. ليس كما تتخيله في  
الصور .. والحقيقة التي يعرفها العلماء أنه لا يمت  
للكلب بصلة ، بل هو أقرب إلى حيوان (الماتجوس) ..

تراه قائماً وقد برز السنام على ظهره فبدأ متحفزاً  
شرسناً ، ورأسه منحدر للأمام .. واللعب يستأقط من  
ركن فيه ، وعيناه جمرتاً نار .. فيوشك قلبك على  
التوقف ..

تذكرت تجربة سابقة لى مع الضباع فى كوخ  
تحاصره الأسود .. لكن كان معى وقتها صياد روسى  
يعرف ما يفعله .. يا لى من مجنون ! هل جئت إلى  
قلب إفريقيا لأعمل طبيباً أم لأحارب كل وحوش  
البرية ؟ ما نوع هذه الحياة التى أحيّاها ؟

على كل حال لم يكن الضبع وحيداً ..

هناك خمسة على الأقل توزعوا من حولنا وراحوا  
يبحثون عن ثغرة .. كل الضباع شرسة كالشيطان  
جسورة لا تقدر العواقب .. والخطأ الدائم لدى الناس  
أنهم يعتبرونها أكلة جيف جبانة ..

وفى نفس اللحظة تقريباً أطلقنا أول طلقتين ..  
يا للدوى المرعب فى هدوء الجبل ! وحين فتحت  
عينى كان الدخان فى كل مكان لكن لا جثث ..

إننى ما زلت محتفظاً ببراعتى فى التصويب .. ولو  
وضعت فوهة المسدس فى فمى وصوبت لأخطأت  
الهدف .. ويبدو أن (تارو) ليس أفضل حالاً ..

(ماسومو) يلتقط أحد الأغصان المشتعلة ويلوح  
بها فى وجه الضباع ، وهو يأتى بخطوات للأمام  
والخلف كأنه يلعب المبارزة .. مع ترديد : هيه !  
هاه ! هيه !

طلقتان أخريان .. وأحد الضباع يتمرغ فى الأرض ..  
هذه الضباع ليست فى حال طبيعية .. نار ورصاص  
ومع ذلك تصر على الهجوم ..  
طلقة أخرى ..

لا جدوى .. سيفرغ الرصاص سريعاً ولن نجد  
وقتاً لإعادة الحشو ..

صحت فى (تارو) أن يتوقف عن الإطلاق حتى  
تقترب للضباع أكثر ، لكنه لم يسمعنى فى حمى القتل ..  
ضبع ينقض على (ماسومو) ويسقطه أرضاً .. الآن  
فقط يمكن أن تتبين ضخامة هذا الوحش .. إنه  
بالضبط فى طول الرجل الساقط فوقه .. لكنه أكثر  
بشاعة من أسد يفعل الشيء ذاته .. ثمة شيء مقرر  
كريه لا يوصف فى هذه الوحوش ..



وتأهبت للإطلاق ثانية ..

هنا تراجع الضباع .. نظرت لأعلى وبدأ عليها  
اضطراب مريب ..

ثم انطلقت تركض مبتعدة ..

وبدافع غريزي نظرت إلى اتجاه نظراتها .. كانت  
ترنو لقمة (كيبو) .. ومن القمة كان هناك ضوء  
أزرق غامض ينبعث من حين لآخر .. كأنما ورشة  
لحام هنالك ..

ما معنى هذا ؟ ما مصدر الضوء ومذا لقزع للضباع  
بهذا الشكل ؟

أكذب لو قلت إبنى نادم على رحيلها .. فقد كان  
واضحاً أن جيشنا الصغير مهلهل وموشك على  
التبعثر .. ولكن ما سر ما حدث ؟

إما أن لنا حارساً خفياً ، وإما أن ما يوجد في  
القمة مخيف .. مخيف إلى حد أن للضباع ذاتها  
تتوجس منه ..

\*\*\*

لم أعرف أنه في ذلك الوقت في (سافاري)  
شعرت (برنات) بذلك التوجس الشديد ..

كانت لا تثق كثيراً بقدراتها الخارقة للحواس ..  
خاصة بعد المقلب الذي شربته مع (السايكومتری) ،  
لكن الأمر الآن كان أقرب إلى اليقين .. (علاء) في  
خطر داهم ..

نهضت وراحت تجوب غرفتنا جينة وذهاباً ، وهي  
تشعر بأنها تختنق ..

ثم إنها ارتدت ثيابها ، واتجهت إلى مكتب المدير ..  
لم تجده هناك لأنه كان يتفقد عناصر الحميات  
كعادته في المساء .. إن كونه مديراً لم يمنعه من  
ممارسة الطب السريري الذي يحبه ..

دخلت عليه العنبر حيث كان واقفاً مع أحد أطباء  
القسم .. فما إن رأيته حتى أدركت أنه متوتر بشكل ما ..  
كان شاحب الوجه يتظاهر بالإصغاء لكنه حائر في  
مكان وزمان آخرين ..

قالت له في لهفة :

- « سيدى .. هل من أخب .... »

نظر لها وقاطعها في لهفة :

- « ( علاء ) .. هه ؟ أنت تشعرين بالشىء ذاته ..

أليس كذلك ؟ »

شحب وجهها :

- « بلى سيدى .. ولكن .. »

أمسك بذراعها ليقودها معه خارج العنبر ، وعلى

الباب وقف ونزع المسماع من حول عنقه ووضعها

في جيبه ، وقال لها همساً وهو يعبر بكفه كعادة

الفرنسيين :

- « نعم .. معك يغدو الأمر مفهوماً لأن صلة

روحية ما تجمعكما .. لكن كيف أشعر أنا بهذا

الشىء ؟ إنه صديقى لكننا لم نقض معاً ساعات تكفى

لوجود اتصال روحى بيننا .. »

- « والعمل ؟ »

هز كتفيه فى قنوط :

- « لا عمل سوى أن نتركه يتصرف .. وأنا أعرف

أنه سيحيد التصرف .. لا أعرف أين هو ولا ماذا

يفعل الآن .. وحتى لو كان يحمل هاتفاً خلوياً فلا أخال

الاتصالات تبلغه فى الجبل .. فقط لنأمل أن هناك

محلبة كهربية ما هى التى جعلتنا نشعر بهذا الشعور ..

هناك ليال تسبب الانقباض وهذه الليلة إحداها .. »

قالت وهى ترتجف توتراً :

- « لو حدث له شىء .. لن أنسى أنتى من أصر

على ذهابه .. »

- « ولنا .. أنا أقاسمك للمسئولية أو لتحمل أكثرها ..

فقط لنعد يا صغيرتى إلى أعمالنا ، ولنندع الله أن

يحسن الفتى التصرف كما قلت لك .. »

نظرت له طويلاً .. الحقيقة أن شعوره هو الآخر

بـ ( شىء ما ) قد ملأها رعباً .. مستحيل أن تكون

هذه مصادفة ..

\*\*\*

فى الصباح واصلنا المسير ..

لقد اجتزنا بنجاح منطقة الغابات .. صحيح أن  
البرد يزداد بشكل ملحوظ ، لكن أمامنا أجمل منظر  
يمكن للعين أن تراه فى إفريقيا .. أشجار جميلة  
وزهور فى كل صوب .. وطائر جميل أخبرنى  
( ماسومو ) أنه ( الطهيوج ) .. وعول تركض من  
بعيد .. أرتب برية ..

هذا هو النطاق الذى يشبه غابات الألب فى  
أوروبا ..

الآن يجب أن أعترف أننا نصعد فعلاً .. لم نعد  
نمشى كما كنا ، لكننا نرتقى لأعلى وإن ظل الأمر  
سهلاً لا يحتاج إلى مجهود تقريباً .

لقد عبرنا الحدود منذ زمن بين ( كينيا ) و ( تنزانيا ) ..  
فى موضع ما من غابة الأشجار الكثيفة للنس  
اجتزناها أمس ... نحن الآن متسللون إلى ( تنزانيا )  
لو كان هناك أحد يهتم بهذه الأشياء ..

سألت ( ماسومو ) وأنا ألث :

- « ما كان سر فرار هذه الضباع أمس ؟؟ »

- « وهل تلومها على ذلك يا دكتور ؟ »

- « لا ألومها .. لكنى أحاول أن أفهمها .. »

كان منهما فى تفسير برتقالة بأسنانه .. فبصق  
القشرة وقال :

- « تفوه ! إن لهذه الوحوش غرائز غريبة .. أنا  
لم أكن ضبعاً قط لهذا لا يمكننى فهم طريقة  
تفكيره .. »

- « وما سر الضوء الأزرق من قمة ( كيبو ) ؟ »

- « لم أر ضوءاً أزرق .. »

وواصل المسير مبتعداً عني .. أما أنا فقلت لنفسى  
إن الأمر لا يزيد على ظاهرة كهربية إستاتيكية ما ..  
كما تضيء أتوف الناس وأطراف الغلابين بضوء  
أزرق غامض فى القطب الشمالى .. يسمونه ضوء



(سأت المو) ويفسرونه تفسيراً كهريباً لكنه غير  
مرض تماماً ..

قمة مكسوة بالثلج قرب خط الاستواء ! لابد أن  
دسته من الظواهر الفيزيائية العجيبة تتم هناك ..  
ولكن ..

يا دكتور (كومارسكى) .. أى نوع من الرجال  
أنت ؟ كيف تعيش فى بيئة معادية غريبة كهذه ؟ ترى  
ماذا تفعله الآن إذا كنت حياً أصلاً ؟

\*\*\*



- 7 -

كان الشيء معلقاً فوق العمود الخشبي الطويل ،  
وكانت محابة من الذباب تحيط به ...

من اللحظة الأولى شعرت بأننى لن أحب ما سأراه  
لو اقتربنا أكثر ، لكننا اقتربنا أكثر ونحن نرتجف ..  
والرؤية تتضح أكثر .. بالفعل لم يكن أجمل منظر  
يمكن للعين أن تراه ..

كان طنين الذباب عاليًا بالإضافة إلى الراحة ..  
ويبدو أن من نفذ العملية كان بارعًا لأن الوتد خرج  
من الفم بدقة شديدة .. ومن الواضح أن هذا المشهد  
الفظيع تم منذ شهر على الأقل .. إن برودة الجو  
تسمح ببقاء الأسجة فترة لا بأس بها ..

تذكرت نفس الصورة فى فيلم قديم اسمه (محرقة  
أكلة لحوم البشر) .. فيلم شنيع من أفلام (الجياللو)  
الإيطالية التى كانت حيازتها تعتبر جريمة فى أكثر  
أوروبا ، وبالطبع لم أر الفيلم لكننى رأيت لقطات منه ..  
كان من نفذ هذا المشهد كان يحاول محاكاة الفيلم ..

غطيت أنفى بمنديلى وقت لـ (ماسومو) :

- « هل هناك أكلة لحم بشر هنا ؟ »

كان يرتجف كورقة وقد أوشكت عيناه على  
مفارقة المحجرين .. قال لى :

- « لا .. لبتة .. ليس هنا إلا قبائل ( الشلجا ) وكلهم  
مسالمون .. »

- « ومن الكافر الذى يفعل شيئاً كهذا ؟ »

اهتز أكثر وهمس :

- « الأرواح ! »

كنت أغطى فمى بالمنديل ، لأننى كنت أشعر بأنى  
لو لم أغطه لتسرب الموت إلى داخله .. هذه الرائحة  
هى رائحة الموت .. تخرج من عباءته السوداء ومن  
أنفاسه ..

ونظرت إلى أعلى .. من الواضح أن هذا رجل ..  
قوى للبنية برغم كل ما لتزع من هيكله من عضلات ..



كان الشئ معلقاً فوق العمود الحشبي الطويل ، وكانت  
سحابة من النياب تحيط به

أما الأخطر فهو تلك الطيور التي تحوم في الجو ..  
عقبان أو نسور لا أدرى بالضبط لكن مهمتها محددة  
جداً ..

قال (ماسومو) وهو يتراجع للوراء :

- « لاحظ أن وجهه يتجه نحو القمة .. نحو  
(كيبو) .. »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « لا أدرى .. لكنه يلتفت للنظر .. »

ألقيت بما أحمله على الأرض ، وقلت وأنا أكمم  
أنفي بالمنديل :

- « على كل حال هناك شيء واحد ينبغي عمله ..  
يجب أن ندفن هذا البائس ... لن يبقى هنا .. »

وفي تردد ألقي الرجلان بما يحملان ، وشرعنا  
نحرر هذا البائس من التود الذي اخترق أحشاءه  
جميعاً .. وحفرنا حفرة تتسع له .. استغرق الأمر

نصف ساعة من العرق والغبار لكن في النهاية  
كان كل شيء قد انتهى ، وحرمت النسور أو العقبان  
من وجبتها ..

وشرعنا نغادر الرقعة الكريهة وقد تقلصت  
أحشاؤنا ..

لقد هزنا المنظر من الأعماق . لكن - بالإضافة  
إلى بشاعته - بدا لي كأنما هو النذير ..

هذا حارس بوابة الجحيم الذي نمشي إليه بحماسة ..

\*\*\*

ونواصل مسيرتنا عبر أجمل غابات رأيتها في  
حياتي ..

صحيح أن الهواء يغدو شحيحاً باستمرار ، حتى  
تشعر بأنك في السبعين من عمرك .. لكن منظر كل  
هذه الأرزهار وقطعان الوعول من بعيد لا بد أن  
يفتنك .. يغسل المشهد الشنيع من ذهنك ..



وكننت أنتظر فى رعب إلى رقيقى .. متى يقرران  
للتراجع ؟ متى يقرران أن الأمر خطر ؟ عندها سيكون  
من الضرورى أن ألغى رحلتى وأعود لأننى لا أعرف  
شيئاً عن هذا الجبل ..

كانت الشمس تتحدر نحو الأفق الغربى حين توقف  
(ماسومو) وأشار أمامنا ..

الآن بدأ الأمر يتخذ صبغة حقيقية ...

للمرة الأولى أدرك يقيناً أننا نرقى جبلاً ..

لقد انتهى المزاح ، وبدأ الجزء الخطير بحق من  
رحلتنا .. الصخور البركانية .. منطقة السراخس  
والطحالب التى ستتتهى وتبدأ المنطقة الجرداء  
الصاعدة ..

سألت (تارو) مترجمنا الهمام :

- « إلى أية درجة ينتمى الجزء القادم ؟ »

- « ثانية وثالثة .. لن يكون الأمر سهلاً لكنه ليس  
مستحيلاً .. »

وقال (ماسومو) وهو يتثائب :

- « أعتقد أن علينا أن نمضى الليل هنا .. لاحظ  
أن هناك رمالاً متحركة فى المرحلة التالية .. »

صعد الحمض من معتنى حين سمعت الكلمة :

- « رمال متحركة ؟ على جبل ؟ »

- « يبدو الأمر كذا .. »

وفى تلك الليلة أخرج كل منا (بول أوفر) إضافياً  
من حقييته .. وانتحيت أنا جانباً وارتييت سروالاً  
صوفياً داخلياً - ذلك الذى اشتريته من (إمبابه) فى  
آخر مرة عدت فيها لمصر - تحت بنطالى .. اكتفيت  
بهذا فلا يجب أن أحرق كل أوراقى .. لا بد من شيء  
أذكر فى نروة البرد أننى لم ألبسه بعد ..

جلسنا بعض الوقت صامتين ، ثم غرق الرجلان  
فى حديث لم أفهم منه حرفاً بالطبع ..

- « (تارو) .. »

لكنه كان منهما مع صاحبه يثرثران ..

- « (تارو) .. »

بصوت أعلى قليلاً ..

هنا التفت لى فلم أقل شيئاً .. فقط أشرت إلى  
الرجل القادم من بين الأشجار نحونا ..

\* \* \*

حين اقترب (صمويل جولدسميث) منا أكثر ،  
أدركنا على الفور جنسيته الأوروبية .. فيما عدا هذا  
لم يكن من شيء يدل على أنه كائن بشرى أصلاً ...

كانت له لحية شقراء تتدلى على صدره ، وقد  
ارتدى معطفاً ثقيلاً من مخلفات الحرب امتلاً بالبقع ..  
وعلى رأسه قلنسوة صوفية ملوثة بالشحوم .. وتتدلى  
على صدره قلادة من قلائد الوطنيين هنا .. لا بد أنها  
جمجمة أو قناع إفريقي أو شيء من هذا القبيل ..  
قدرت أنه في الأربعين من عمره وإن كان يبدو أكبر  
سناً بكثير .. وكان يحمل في يده عصا خشبية ...

للخلاصة أنه لولا شعره الأشقر وعينه الزرقاوان  
لحسبته من مجاذيب الموالد عندنا ..

دنا منا وقال بصوت ملهوف :

- « هل يتحدث أحدكم الإنجليزية ؟ »

لقد بدأت لغتي الإنجليزية تترهل بسبب استعمالي  
الفرنسية طيلة الوقت ، لكنى ما زلت قادراً على  
استخدامها ... أشرت له أن يجلس وأنا أتساعل من  
هذا الرجل ومن أين جاء .. غير أنني أدركت حقيقة  
واحدة : لا خطر منه على الإطلاق ..

جلس قرب النار وراح يرتجف ثم سألنى السؤال  
التقليدى لمجنوب :

- « هل لديكم طعام ؟ »

دون كلمة فهم (ماسومو) المراد فقرب من الرجل  
علبة طعام محفوظة كان قد فتحها .. فمد الرجل  
مخالبه لدخلها وراح يلتهم ما بها التهاماً ..

- « أنا (صمويل جولدسميث) .. أمريكى .. هل أنت  
عربى أيها الشاب ؟ »

هزئت رأسى أن نعم .. فالعلامح العربية يعرفها  
أى كان مغمض العينين ...

- « ذاهبون إلى (كييو) ؟ غريب .. هذا غير  
معتاد .. لا أحد يذهب إلى (كييو) .. »

- « لماذا لا يذهب أحد إلى (كييو) ؟ »

- « لأنه هناك .. »

وواصل الأكل كالمحرومين كأنه أجاب على أسئلتنا  
كلها ..

عدت أسأله بالحاح :

- « من هو الرجل ؟ »

نظر إلى قمة (كييو) وغمغم فى رهبة :

- « إنه فيلسوف .. لكنه لا يعبر عن فلسفته  
بالكلمات ولكن بالأفعال .. وبعض أفعاله قاسية والحق

يقال .. لكنك تفهم .. أحياناً تبدو ضربات فرشاة  
(جوجان) أو نغمات (فاجنر) قاسية على أبصارنا  
ومسامعنا .. لكنك تمضى بعض الوقت فتدرك أن هذا  
سر روعتها .. هل رأيت ضربات (جوجان)  
بفرشاة ؟ كم هى متوحشة ! إنه يضع اللون الأحمر  
من الأكيوب مباشرة ولا يخففه على الإطلاق .. هكذا  
الرجل .. »

ثم ابتلع ما بغمه وهتف بحماسة :

- « هل هى صدفة أن أختار قمة (كييو) بالذات ؟  
هذا ليؤكد تفرد .. ودعنى أخبرك بسر .. هذا الرجل  
لن يترك القمة أبداً .. لقد صار وهى شيئاً واحداً حتى  
أنى لا أعرف من منهما وجد أولاً .. إن أسأليبه  
عذيفة .. أحياناً تجدها قاسية .. لكن لو ابتعدت عنها  
وفكرت بحياد لوجدت أنها ضرورية .. »

عدت أكرر سؤالى نافذ الصبر :

- « من هو الرجل ؟ »



قال بنفس الدهول :

- « وما جدوى الأسماء ؟ إنها تلك الحيلة التي ينتحلها أمثالي وأمثالك ممن لا طعم لهم ولا مذاق .. فقط كي يتظاهروا بأن لهم أهمية ما .. لما هو فلا يحتاج إلى اسم .. يكفي أن تطلق عليه اسم ( الرجل ) .. وصدقني أن القبائل هنا تفهم ما أقول أكثر منك .. »

ثم راح يضرب الأرض بقبضته في حماسة :

- « الرجل رائع .. دعني لوكد لك هذا .. إنه رائع .. كان حكمة كل الفلاسفة قد قطرت وزرعت فيه .. »

- « هل تتحدث عن الدكتور ( برنست كومارسكى ) ؟ »

صاح في غضب والطعام يخرج من فيه :

- « قلت لك إن الأسماء لا تهم .. »

نظرت إلى الرجلين اللذين لم يفهما أغلب المحادثة لأنها بالإنجليزية .. واضح أن هذا الـ ( جولد سميث ) لن يقدم أية معلومات .. إنه مجذوب فعلاً أو ( صريع القمر ) كما يقول الألمان ..

- « هناك رجل معلق على خازوق في هذا المنخفض .. لقد تم سلخه حياً .. هل تعرف شيئاً عن هذا الموضوع ؟ »

صاح في انبهار :

- « نعم .. نعم .. أحياناً يحرقهم أحياء وأحياناً يربطهم لتلتهمهم الضباع .. قلت لك إن أساليبه عنيفة لكنها مثمرة .. إن الرجل رائع .. أقولها لك بأمانة .. »

- « حسن .. هو رائع .. لكن ما الثمرة التي تحققها أساليبه ؟ »

- « الحقيقة ! إنه يقترب ! ربما وصل ! قالوا إنك لا تستطيع صنع الحلوى من دون نار . ولا تستطيع صنع العجة من دون تكسير البيض .. ولا .. »

- « نعم .. لا يمكنك عمل كذا من دون كذا .. اختصر .. »

- « المهم أنني أعتبر نفسي خادمه الأمين . ومهما أرادني أن أبتعد قلن أفعل .. »

- « هل تزوره أحياتا ؟ »

- « بالطبع لا .. لقد أمرنى بأن أغرب عن وجهه ..  
لكنى كالكلب الوفى لا أبتعد مهما أمرنى صاحبه بذلك .. »  
على الرغم منى تذكرت تعبير ( مزجر الكلب )  
الذى كان ( بسام ) التونسى يصف به جلستى فى غرفة  
المدير فى ( سافارى ) القديمة .. الكلب لا يجرو على  
الأقتراب .. لكنه كذلك لا يريد الابتعاد .. وقد فشلت  
تماما فى إقناعه أنى اعتبرها إهانة ..

ترى ماذا تفعل الآن يا ( بسام ) أيها العزيز ؟

كان الليل قد أعلن سلطاته النهائية والتمام .. لهذا  
قلت للرجل فى قنوط :

- « هل تقضى الليل معنا هنا ؟ »

نهض ولوح بالعصا وصاح :

- « لا .. لا من فضلك .. بنى أجوب الجبل كالنمل ..  
كان جسدى جائعا وشبع .. الآن حان الوقت كى  
يشبع وجدائى .. »

وابتعد بخطى سريعة ليغيب وسط الأشجار ..

هذا المجنوب مفيد لو قبل البقاء معنا .. إنه - فيما  
يبدو - يقضى حياته صاعدا إلى ( كيبو ) ونزلها منها ..  
لا بد أنه يعرف الجبل مثل ظهر يده بدليل بقائه  
حيًا ..

وسألنى ( ماسومو ) بعدما ابتعد الرجل :

- « عم كان يكلمك هذا الأوروبى ؟ »

قلت وأنا انظر إلى الظلام :

- « كان يحكى لى عن عبقرية رسام يدعى  
( جوجان ) .. »

\*\*\*

### كم يبلغ ارتفاعنا الآن ؟

ليتنى اشتريت جهاز ( الألتومتر ) الذى عرضه على الفرنسى فى المتجر .. لو لم يكن هذا الجهاز موجودا فإتهم يقومون بغلى جهاز ( الترمومتر ) .. وتذكرت فى سخرية تجربة ( مارك توين ) الكاتب الأمريكى الساخر حين قرر أن يغلى البارومتر كى يعرف ارتفاعه ، وكانت النتيجة أن كل أفراد الرحلة أحبوا حساء البارومتر لأن له مذاقا حريفا محببا .. وراحوا يطالبون بالمزيد منه ..

الفكرة هنا - من غلى الترمومتر - أن درجة غليان الماء تنخفض بمقدار ثلاث درجات مئوية كلما ارتفعنا عن سطح البحر كيلومترا واحدا .. وملاحظة درجة غليان الماء تعطيك فكرة عن الارتفاع ..

على كل حال لقد انتهينا من منطقة الأشجار والزهور ودخلنا المنطقة الوعرة ، ومعنى هذا أن

ارتفاعنا أربعة كيلومترات فوق سطح البحر .. عرفت هذا فيما بعد حين قرأت جغرافية الجبل بالتفصيل ..

والملاحظ هنا أننا بلغنا هذه النقطة بشكل أسرع فى المرة السابقة حين كنا نبحث عن ( لواما ) فى قرى السفح .. لكن السبب هو أننا لم نكن نبقى ( كيبو ) وقتها .. أما الآن فإن ( ماسومو ) يدور بنا دورة طويلة نوعا لكنها تجعلنا نصل إلى ( كيبو ) من جهة الشرق قليلة الثلوج ..

نحن الآن نعبر منطقة وعرة بالفعل نحتاج إلى استعمال اليدين من حين لآخر .. طبعا من حين لآخر كان ( ماسومو ) يتوقف ويأمرنا بأن ندور حول بقعة ما ، لأن عينه الحساسة كانت تميز بقاع الرمال المتحركة ..

فيما بعد تعلمنا أن نقذف الأحجار أمامنا فى أثناء المشى .. ونستردها حين نصل إليها لنعيد قذفها ، فإذا غلب الحجر غلصنا فى الأرض عرفنا ما ينتظرنا ..

بدأت أتعب وبدأت أتعث ..

ليس الأمر لعبة أطفال بالتأكيد ...

\*\*\*



وكان (ماسومو) هو أول من رأى المرأة العجوز  
عند الغروب ..

كانت قادمة من بعيد .. منحنية كأي عجوز ..  
ترتجف كأي عجوز .. لكنها - وهو ما أثار قلقي -  
لا تبدو في مشكلة بالنسبة لهذه الصخور الوعرة ..  
إنها تمشي كأنما هي على أرض منبسطة ..

زنجية هي .. تلبس ثيابا عجيبية مزركشة ..  
شعرها المجعد الأشيب ينتثر على جانبي رأسها كأنما  
هي مجذوب آخر ، وقد تغطى صدرها وذراعاها  
بالحلي إلى درجة ملفتة للنظر ..

كان الثلج يكسو وجهها ويتكوم على كتفيها ، وهو  
ما بدا لي غريباً لأننا لم نصل لنطاق الثلج بعد .. ثم  
بدأت أفهم حين رأيت ساقها التي انتثرت في وضع  
مستحيل تشريحياً من تحتها وهي تمشي ..

صاح (ماسومو) بالسواحلية ثم قام بالترجمة إلى  
الفرنسية :

« ليتنى لم أولد ! إنها (لواما) ! »

(لواما) أم السبعين شيطانياً ؟ هنا ؟ لكنها ماتت  
يا بني .. صارت جثة متجمدة وفحصناها بأنفسنا ..

لكننى كنت أعرف أنها هي .. هي ذات المرأة التي  
وجدناها في ذلك الكهف ..

المرأة التي قالوا إنها الرعب الذي يتوارى في  
الظلال ، وعواء الذئاب في الأحراش ليلاً ، والندير  
الذي يتوارى في كل ركن ويحتشد مع الغيوم المنذرة  
بدنو العاصفة ، وهي في كل مكان لكن لا مكان لها ..  
هذه المرأة كانت مخيفة بما يكفي في حياتها فكيف  
بعدما ماتت ؟

وهنا راحت تضحك ..

تضحك ضحكة شيطانية عجوزاً من التي تضحكها  
الهيكل العظمية في أفلام الرعب . إنها تعرف أنها  
تبدو كساحرة شريرة وهي مصممة على أن تكون  
كذلك ..

صحت في (ماسومو) كي يهدأ :

« كف عن السخف ! المرأة ماتت .. نحن نعرف هذا .. إن ما نراه الآن هلوسة بسبب نقص الأكسجين .. » وهو منطوق لا بأس به .. ما زال العلماء يؤكدون أن نقص الأكسجين هو سبب كل رجال الجليد الذين شوهدوا فوق قمم الهيمالايا ..  
« ليتنى لم أولد ! إنها ( لواما ) ! »

وراح يلطم خديه كالنساء ويتواثب فوق الصخور .. نظرت للوراء فوجدت أن المرأة مصرة على القدوم لى .. والحقيقة أنك يجب أن تعذرني .. كان منظرها مفرغا بحق ، لهذا توارى منطقي العلمي على الفور ورحت أثب بين الصخور محاذرا أن أنظر للوراء .. محاذرا أن أقع في منطقة رمل متحركة .. محاذرا أن أتعثر .. وأخيرا وجدت للصخرة التي خلفها توارى ( ماسومو ) و ( تارو ) ..

لم أتكلم .. فقط أخرجت المسدس وصوبته تاهبا لما سيحدث ..

تبأ للإشعاع السايكوفيزيائي ! لو كنت ( عنتره بن

شداد ) ورأيت رجلين مذعورين لمأ الخوف قلبك حتى قبل أن تفهم سبب خوفهما ..

في اللحظة التالية أطل وجه المرأة من وراء الصخرة .. وقد بدا أبشع مما رأيته من بعيد .. وانفتح فمها الذي خلا إلا من أتياب معدودة جعلتها أقرب إلى الذئاب ، وصاحت :

« ستموتون ! ! أيها المدنسون ! لن تبلفوا ( كيبو ) أبدا ... هي هي هي ! »

وعادت تردد تلك الضحكة الشنيعة .. الحقيقة أن المرأة كانت تؤدي دور الشبح كما ينبغي أن يكون بلا خطأ واحد .. وفي اللحظة التالية توارت ..

أخرجت رأسي من وراء الصخرة .. ماذا تتوقع ؟ طبعاً لم أجدها ..

« هلاوس ! قلت لكما إن هذه هلاوس .. إن أمخاخنا تفتقر الآن إلى الأكسجين والجلوكوز .. لهذا نرى ما يراه الثملون ونسمع ما يسمعون ونمشي كما يمشون .. »

قال (ماسومو) فى رهبة :

- « بدا لى المشهد حقيقياً .. »

وراح يرتجف ويردد ما لا بد أنه تعلمه من أمه  
لطرده (الداوا) ..

ثم سأل (تارو) إن كان رآها فقال هذا :

- « لا .. أنت لم تفسح لى مجالاً .. »

قلت لنفسى إنه لو كانت هذه هلوسة أو كان هذا  
شبحاً فلسوف يحدث الشئ ذاته .. سوف تختفى  
المرأة .. أى أنه من المستحيل إثبات ما رأيناه ..

كان لون الغروب الرهيب يغمر المكان الآن ، وبدا  
لى أنه من العسير أن نصكر هنا .. على الأقل من  
أجل الرجلين اللذين طار صوابهما ، لذا اقترحت أن  
نواصل الزحف ساعتين أخريين ..

وللمرة الأولى اعتبرنى (ماسومو) قائداً له ..

\*\*\*

هذه المرة تناوبنا السهر ..

كان كل شئ معادياً لنا ، حتى شعرنا بأن الجبل  
ذاته يتآمر ضدنا كى ينهار فى أية لحظة ويبتلعنا ..

وفى الثالثة صباحاً أيقظنى (تارو) .. وأشار إلى  
قمة الجبل المغطاة بالثلوج ..

من حين لآخر كان ضوء أزرق غامض - كما  
وصفته لك - ينبعث من القمة فوقنا ويتوهج لثوان  
ثم يخبو ... الشئ الجديد هنا هو أننا من موقعنا  
المتقدم هذا ، كنا نستطيع أن نرى بوضوح قمة  
(ماونزى) وذلك الركاب الطويل الذى يبلغ طوله  
11 كيلومتراً والذى يصل بينها و(كيبو) ..

كان الضوء الأزرق يخرج من قمة (كيبو)  
فيمشى على الركاب لمسافة ما ، ثم يخبو بالتدريج ..  
لهذا ظلت (ماونزى) الممزقة مظلمة .. كأنها أخت  
باهتة الشخصية قصيرة القامة بالنسبة لأختها  
المسيطرة فارعة الطول بارعة الجمال (كيبو) .



همس (تارو) :

- « دكتور .. أنا لا أحب هذا الجبل .. إن الجبل الأبيض يتصرف بطريقة غريبة هذه المرة وأرى أن نعود .. »

هنا كان شيطان الاستمرار قد تملكنى ..

قلت له في غيظ وصوتى ما زال مغلقاً من النعاس :  
- « لو قالوا لى إن هذا الجبل هو نهاية العالم وإن الشياطين تعيش فوق قمته ، لاستمررت .. لم أقض كل هذه الأيام فى مشقة كى أعود .. »

- « المشقة لم تبدأ بعد .. »

أعود لأقول لـ (سينوريه) إن الأضواء الزرقاء مخيفة ؟ لا يا رفاق .. سوف أستم .. هذا هو (علاء عبد العظيم) .. الأحمق المتهور الذى يضرب رأسه بالجدار ولا يعبا بالصداع .. (فاجومى) كما يصف الشاعر (أحمد فؤاد نجم) أمثاله ..

قلت لـ (تارو) :

- « عد إذا أدت فإتنى و(ماسومو) مستمران .. »  
وهذا هو الوضع الفريد بالنسبة لعددنا الثلاثى ..  
إذا اتفق اثنان على شىء فلن يجسر الثالث على أن يتصرف وحده .. لو اتفقت و(ماسومو) على الصعود فلن يجسر (تارو) على الهبوط وحده ، ولو اتفق و(تارو) على العودة فلن أجسر على استكمال الرحلة وحدى ..

ثم نظرت إلى ساعتى فوجدت أن أسامى ساعة أخرى من النوم ، لهذا أدت ظهري له وتثاءبت :

- « نادنى بعد ساعة .. »

وغبت فى عالم الأحلام ..

\*\*\*

الجنة التالية التي قابلناها كانت في حالة أفضل ..

اعنى بحالة أفضل ، أنها كانت أقل إفراغا لنا ..  
كانت قد تحولت إلى هيكل عظمى .. صحيح أنه كان  
هيكلاً صارخاً ، وصحيح أنها كانت مقيدة إلى وتد  
مثل سابقتها ، ذلك التدد الذى يمكنك أن ترى الآن  
كيف اخترق الحوض ومر بين الضلوع عابراً فقرات  
الرقبة ليخرج من الفم الصارخ .. لكن منذ متى  
تخيف الهياكل العظمية الأطباء ؟ حتى بالنسبة للجثث  
كانت هناك جثث ( علمية ) هي التي نقابلها في  
المشرحة وتبدو أقرب إلى الخشب .. وكانت هناك  
جثث ( ساخنة حية ) هي التي نقابلها في الحوادث  
وعلى أسرة المتوفين .. طبعا لم أستطع قط أن أجد  
راحة مع النوع الثانى ، بينما كان يوسعى استكمال  
شطيرتى وأنا أتعامل مع النوع الأول ..

لكن لك أن تتصور دعر مرافقى حين شاهدنا هذا  
المنظر .. جميل أن تشعر بأنك أشجع الثلاثة .

هتف ( ماسومو ) وقد عاينته الرجفة التي لا تفارقه  
إلا نادراً :

- « يا ويلى ! ماذا يحدث في هذا الجبل ؟ إن المكان ملعون  
يا دكتور ! ملعون ! »  
سألته متحققاً :

- « ألم تسمع قط عن شيء كهذا ؟ »

سقط على ركبتيه على الأرض وراح يبكى والمخاط  
يبيل شاربه الكث ، وهتف :

- « نعم .. لم أسمع يا دكتور .. لم أسمع .. ودعنى  
أعترف لك بشيء مهم .. أنا لا أعرف شيئاً عن  
الجبل منذ يومين .. فلم أصل قط إلى هذه النقطة !! »  
كان هذا الاعتراف مثيراً للقلق فصحت وأنا أرمع  
على الأرض جوارحه :

- « ماذا؟ وكل ما قلته عن براعتك والجبل الذى تعرفه كراحة يدك؟ »

- « كنت أحسب مهمتنا الصعود لا أكثر .. وقررت أن أجرب .. لا بد من مرة أولى كما تعلم ! »

أيها الوغد الأحمق ! ولا تجرب إلا معى أنا .. ولمجرد أن يضاف جبل (كليمنجارو) إلى السيرة الذاتية الخاصة بك؟ أى أنك فى الواقع مثلنا تماماً ..

صحت به وأنا أقاوم رغبة محببة فى فقء عينيه :

- « لكن اتجاهنا صحيح .. أليس كذلك؟ »

- « بلى .. سمعت من المتسلقين أن الناحية الشرقية هى أسهل النواحي للتسلق حيث تندر الثلوج .. »

- « سمعت !!!!! »

يا للغباء !!

ووقفنا بعض الوقت نتدارس قرارنا .. لا مجال

للتراجع ولا الاستسلام .. سوف نواصل التسلق .. سوف أقابل (كوكارسكى) لو كان حياً وأقتعه أو أعطيه الخطاب الذى معى ..

بالمناسبة .. هل ما زال الخطاب معى؟

بيدين متجمدتين مددت يدي أبحث فى جيب سترقى ..

هذا هو والحمد لله .. ولكن .. ترى ما الذى كتبه (سينوريه) لذلك الرجل؟ أكره أن أكون متلصصاً معتدياً على الخصوصيات ، لكن أعتقد أن عبارات الخطاب قد تمنحنى شيئاً من الفهم .. لا بد من أن أفتحه .. لا بد ..

هكذا ابتعدت عن الشاهدين ، وعالجت المظروف حتى فتحت الورقة بالداخل ..

كانت بيضاء من غير سوء ..

ما معنى هذا؟ كيف؟ لماذا أرسلنى (سينوريه) بورقة بيضاء كل هذه المسافة؟ هل أخطأ؟ كيف يخطئ فى أمر هين كهذا؟



وكنت قد وصلت درجة من الإرهاق و( الباراتويا )  
تسمهان لى بافتراض أى شيء .. وكان ما افترضته  
هو أن الجبل قد محا ما كتب فى الخطاب ..

لم لا ؟ الجثث على الخوازيق فى كل موضع ،  
والأهالى خائفون ، والضوء الأزرق الغامض يخرج  
من ( كيبو ) ، و( لواما ) تجول بعد ما شبعت موتاً ...

ألا يعنى هذا أن الخطابات قد تمحى فى جيوبنا ؟  
استدرت للباسين كأتنى ( هاتيبال ) يدعو قواته  
لاستكمال رحلتها عبر جبال الألب وصحت :

« هيا يا شباب ! »

\*\*\*

حقاً صار التسلق عسيراً جداً ..

الزاوية التى ترتفع بها الصخور صارت شبه  
قائمة .. الآن صرنا نحتاج إلى التمسك بالصخور

جيداً بأيدينا المكسوة بالقفازات .. وننتظر حتى نصل  
إلى منحدر زاويته حادة نوعاً ...

هل سنحتاج إلى استعمال الآلات الرهيبة التى  
أطير منها : المخراز والركاب والحبال ؟

إن الثلج بدأ يتكاثر والهواء صار أكثر رقة وقد  
فرغنا من ارتداء آخر ما كان فى جعبتنا من ثياب ..  
أضف لهذا منظر القلنسوات الصوفية على رءوسنا ..

إننى أتسلق ( كليمنجارو ) !! إننى أتسلق  
( كليمنجارو ) !!

من يصدق هذا ؟ أنا نفسى لن أصدق له لو سمعته  
فيما بعد ..

لكننى كنت أطمئن نفسى من حين لآخر كى أومن  
أن الأمر ليس مستحيلأ ..

« إنه من أسهل الجبال تسلقاً .. هو ليس ( إفرست ) على  
الإطلاق ، وكل الكتب تقول هذا . »

- « ليس مستحيلاً .. ليس هذا ( إفرست ) على كل حال ..  
لقد كان الإنجليز يتسلقون جبال الألب عام 1750 بثيابهم  
العادية .. ثياب الخروج والقبعة والعصا .. وربما اصطحبوا  
معهم نساءهم .. »

- « إن ( كليمنجارو ) أجمل بكثير حين تراه من موضعنا  
هذا .. كما أنه ليس تحدياً للرجولة يستحق أن ترد عليه ..  
إن التحدي الحقيقي لرجولتك هو ( الهيمالايا ) .. »

وهمست للجبل وأنا ألث من البرد والجهد وقلة  
الهواء :

- « سأهزمك أيها الجبل الأبيض .. أنت لست  
( إفرست ) على الإطلاق .. تذكر هذا .. »

إلا أن جزءاً في أعماقي كان يهتف بى : لا تهرج  
يا فتى .. ليس الأمر للهواة .. أنت تعرف أنك لن  
تنجح .. على الأقل كان ينبغي أن تملك خبرة سابقة  
مع جبال أصغر .. وأعلى جبل تسلقته في حياتك كان

كومة الرمال أمام باب مدرستك ، والذي تركه عمال  
البناء هنالك عاماً حتى اختفى تماماً ..

( برنات ) قالت إنه سهل التسلق .. جميل ! هذا  
مطمئن .. ولكن ما هي خبرة ( برنات ) العظيمة في  
التسلق حتى تنق برأيها ؟

الحقيقة أن الصعود بهذه الطريقة لمدة ساعة  
يشعرك بأنك كنت تصارع ( كينج كونج ) ..

وكان قلبي يرفرف في صدري كالورقة ..

أما السؤال الأهم فهو : كيف نبين ليلتنا عندما  
يأتى الليل ؟

\*\*\*

لم أعرف طبعاً أنه في ( سافاري ) في هذا الوقت  
بالذات ، فرغت ( برنات ) من القىء الصباحي وهي  
عادة محببة لدى الحوامل .. الحقيقة أن معدتها لم  
تعد على ما يرام على الإطلاق وإن كان الحمل جزءاً

مما حدث .. الجزء الآخر هو قرحة اثني عشر بدأت  
تولد بسبب التوتر ..

غسلت وجهها وأسنانها ومضغضت فاهها ثم  
خرجت من الغرفة ..

اتجهت إلى مكتب المدير في ثقة وإصرار ..

- « صباح الخير يا دكتورة ( عبد العظيم ) .. »

- « صباح .. »

كان هذا هو الرد المقتضب الذي قلته للسكرتيرات ،  
ثم قرعت باب المدير ودخلت ..

كان جالساً ينتهم إفطاراً سريعاً مكوناً من الكرواسان  
والقهوة ، فلما رآها ابتسم في حرج ودعاها إلى  
الجلوس .. وكانت قد جلست فعلاً على كل حال ..

قالت بصوت مبحوح :

- « أنت تشعر بما أشعر به .. أليس كذلك ؟ »

ابتسم من جديد وقال :

- « من البداية .. وهي علامة مطمئنة على كل  
حال .. ما دمنا مستمرين في القلق ولم نشعر براحة  
مفاجئة ! أى أن الخطر ما زال داهماً .. لم ينته شيء  
بعد !! بل قد يكون هذا دليلاً واضحاً على أننا نهلوس .. »  
نظرت بثبات في عينيهِ اللتين وارتهما العوينات  
نوحاً ، وقالت :

- « الأمر أكبر من ذلك .. وأنت تفهم ما أعنيه .. »

- « بل لا أفهم .. »

- « هذه الرحلة لم تكن ضرورية .. اختيار ( علاء )  
لم يكن مناسباً .. قبولى أنا كان أسهل من اللازم ..  
هل فهمت ما أريد قوله ؟ »

هذه المرة لم يجادل أكثر .. نزع عويناته وراح  
يفرك عينيهِ بإصبعين من فرط إرهاق ، وقال :

- « نعم أفهم .. بل أحاول أن أفهم .. »



ثم نظر لها ، وللمرة الأولى أحس الاثنان بشعور  
التوتر يزول ليفسح الطريق لشعور أخطر : الذعر  
الذي تشعر به حين تفصح قدرات غامضة في نفسك  
عن وجودها ..

\*\*\*



- 4 -

ممسكونا لتلك الليلة كان فوق حافة صخرية  
بارزة .. وكان الجليد يكسو الأرض الآن .. من تحتنا  
يغفو الوادي الجميل ومن فوقنا يطل الأخ ( كيو )  
الرهيب .. يبدو دانيًا لكنه كعادة ( كليمنجارو ) كاذب  
كبير ..

لم يفت ( ماسومو ) أن يملأ حقيبتيه - مكان الثياب  
الثقيلة التي أخرجها - بأخشاب جافة .. الكثير منها ..  
وهكذا كان بوسعنا أن نشعل النار ، وكانت له طريقة  
معيّنة تقوم على تبليل الخشب بشكل معين ؛ وبالتالي  
يحترق ببطء شديد فلا ينقد سريعًا ..

في الحرب العالمية الثانية في أثناء حصار ( لندن ) ،  
كان هناك نوع من الموافد تبتاعه ربات البيوت يمكن  
إشعاله بجريدة .. وكان ملحق جريدة ( صنداي  
تايمز ) يصلح لإعداد وجبة لأسرة بعد ما تبلىه ربة  
البيت بالماء كي لا يحترق بسرعة ..

لكن النار ظلت قليلة جداً برغم هذا، وشعرت أن  
بوسعى أن أتمرغ فيها .. ألتهمها .. أبتلعها ....

وشعرت بشفقة بالغة على مرافقي البائسين اللذين  
لم يعتادا إلا الحر .. كيف يتحملان ؟

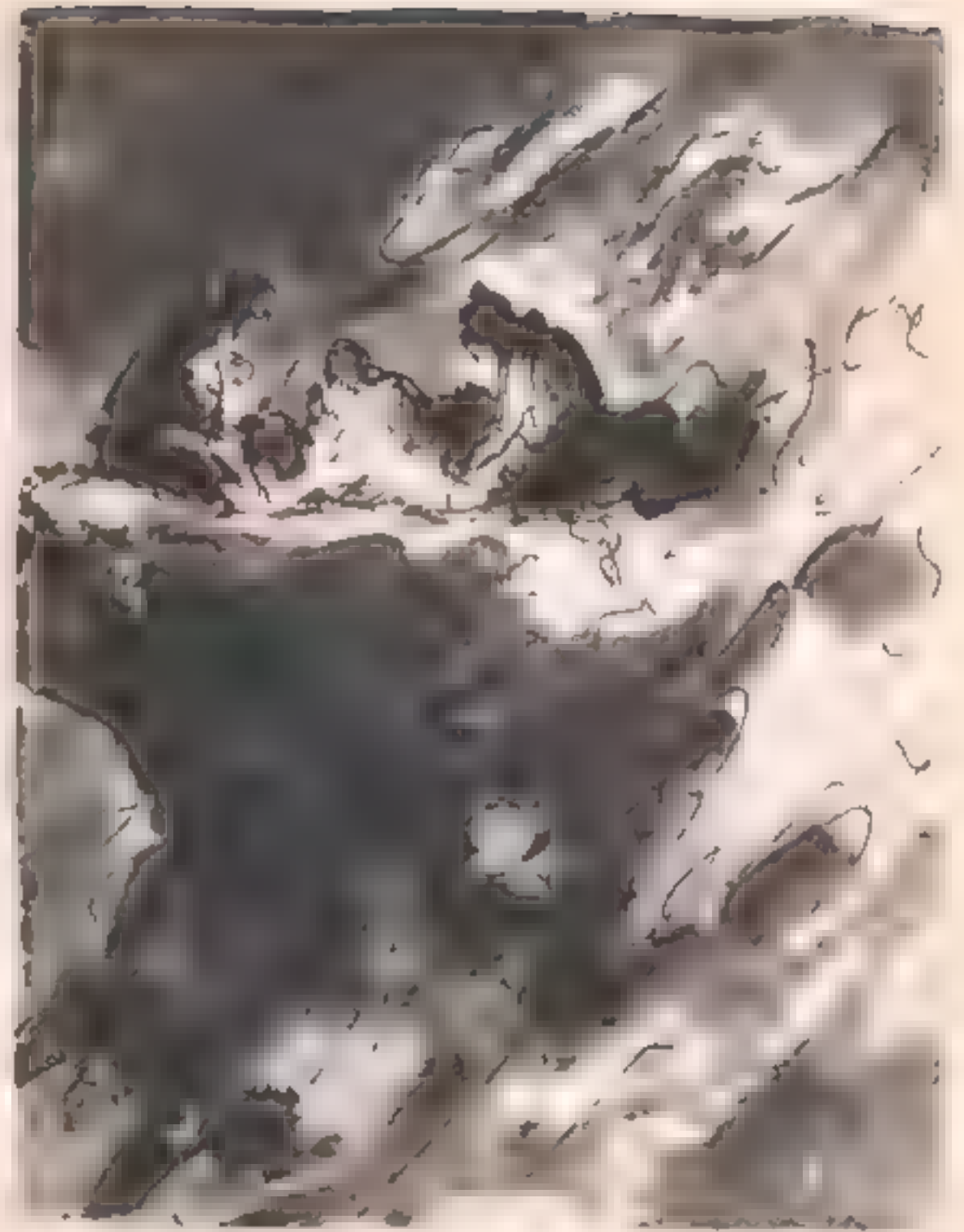
أما القلق الأعظم فكان بصدد حالتى العقلية .. حتى  
اللحظة يبدو عقلى حديثاً .. صحيح أنه يعمل بشكل  
أبطأ من اللازم ، لكنه يعمل على الأقل .. متى أبدأ فى  
الهلوسة والتقييم الخاطى للأمور ؟ هذه هى اللحظة التى  
يئس فيها المكتشفون من أعلى للجبل ، مثل لحظة جنون  
الضائع على طوف فى المحيط ، حين يشربون  
الماء المالح فيجنون ويلقون بأنفسهم فى البحر ..

قلت لهما وأنا أنتهى من عشائى :

.. « اعتقد أنه من الحكمة أن نربط أنفسنا بحبل  
غذا .. هذا يجعل الأمور أكثر أمناً .. »

هكذا لن يسقط أحدا فى حفرة أو تزل قدمه ،  
والأهم أننا لن نفقد بعضنا ..

ونظرت لأعلى ..



معسكرنا لتلك الليلة كان فوق حافة صخرية باردة وكان الحليد  
يكسو الأرض الآن

إن المرحلة التالية قصيرة حقًا .. يوشك الجبل أن يكون رأسياً .. لا بد أن هذه هي الدرجة الخامسة .. ربما السادسة لو كانوا قد اخترعوها ..

\*\*\*

في الساعة الواحدة بدأ الكل في الصراخ ..

كانت تلك الأشياء تهاجمنا ..

كلا .. لم تكن أشياء .. كانت .. بل كانت أشياء .. لا أدري حقاً ما يجب أن أقوله ..

كانت تنهمر علينا من أعلى .. في البدء حسبناها كتلاً جليدية ، ثم أدركنا أنها ليست كذلك .. كانت تشبه قصاصات عملاقة من الورق .. ثم تقترب أكثر فتدرك أنها شياطين أو وحوش عملاقة .. ثم تصطدم بنا فنشعر بأنه لا ملمس بها .. لكنها حين كانت تمر باللهب المشتعل كانت تتوهج .. بالضبط تتوهج كأنها فراشات عملاقة تحترق ..

الحقيقة أنها كانت أقرب إلى مؤثرات CGI تمت إضافتها بالكمبيوتر إلى المشهد ..

كنا غارقين في سبيل لا ينتهي من هذه الأوهام .. وهي ليست بالضبط تجربة محببة .. حتى لو أقنعت نفسك أن الجسم السابق كان وهنا ، فإن الجسم القادم يبدو حقيقياً إلى درجة مروعة ..

وراح الجبل يهتز بصوت شيطاني غريب ..

صوت يذكرك بالأكين .. فقط هو عال جداً يوشك على أن يصم أذنك ..

سقط (تارو) على الأرض ، ولم أعد أتبين (ماسومو) ..

لكن الهدف من كل هذا كان جلياً واضحاً .. ولا شيء سواه ..

وصحت في الآخرين :

- « تماسكا ! هذه الأشياء أقرب إلى الدخان ! هي دعاية لا أكثر .. »



لكنى كنت أعرف ما هو أفضل .. لا أحد يداعب  
بهذه الطريقة .. أى نوع من المخلوقات هذه ؟ هل  
كانت دائماً فى الجبال ؟ إن الجبال منطقة شبه مهجورة  
ومن الممكن أن تحوى نوعاً من الحياة لانعرفه ..

أم هى أشباح ؟

حتى لو اختلفنا حول المصطلح فهذه الأشباح تبدو  
كأشباح وتتصرف كأشباح .. إذن هى أشباح !  
لا بد أن الهجوم استمر خمس دقائق كاملة ، لكنه  
انتهى .. لقد رحلت هذه الأشياء عنا ورقدنا على  
الحافة نرتجف ونلهث ..

- « أرواح ! قلت لك إن هذه أرواح ! »

قالها ( ماسومو ) بينما قال ( تارو ) رآيه القاطع :

- « هذا سحر قوى جداً .. »

طبعاً .. لو لم يتكلما الآن فمتى يتكلمان إذن ؟

فى هذه المرة بدا الأمر خطراً بحق ، وقد نظر لى  
الرجلان بعيون صلبة لا ترمش ، وقال ( تارو ) :

- « الآن يا دكتور .. لقد صار الأمر واضحاً ..  
نحن لن ننجح فى هذه المهمة وكان من الحماقة أن  
بدأنا أصلاً .. إن الجبل ما زال صامداً .. قمة ( كيبو )  
بعيدة فعلاً ، وهذا وحده كفيل بإحباطنا .. فما بالك  
واللغة تسيطر على هذا المكان ؟ لقد حان الوقت كى  
نعود .. »

وأضاف ( ماسومو ) وهو يرتجف من البرد  
والرعب :

- « نعم .. نعم يا دكتور .. وأنا أوافقه .. »

قلت له فى وهن :

- « سأدفع لك ما تريد .. الكثير من الشلنات ..  
أنت قلت إن ميتاً تملأ الشلنات جيبة خير من حى  
فقير .. »

قال فى صدق :

- « أومن بهذا من كل قلبى ، لكن ساقى لا تؤمن  
به .. إنها لن تطاوعنى على أية خطوة أخرى .. »

هذه المرة أدركت أن الرحلة قد انتهت ..

ولا أكتفك سرًا .. لقد راق لي الأمر على الرغم منى .

ونظرت لأعلى إلى القمة الشريرة فرأيتها قد بدأت  
تتوهج بذلك الضوء الأزرق الغريب ..

\*\*\*

وحيثما غمرت الشمس الجليد كنا قد بدأنا خطواتنا  
الأولى للنزول ..

كان علينا أن ندور حول الحافة الصخرية ، لأن  
النزول من تلك الجهة لم يعد ممكنًا .. وهكذا درنا  
حولها بعض الوقت ، فقط لتكتشف أنها مغطاة بجليد  
سميك فى وضع رأسى تمامًا .. ولمست قدمى السطح  
فشعرت كأنما أقف على سطح من الصابون ..

- « هذا لن يصلح .. سنسقط ونهشم أعناقنا  
ببساطة .. »

فتح (تارو) الحقيقة وأخرج الحبل .. هذا وقته  
هذه المرة ..

مد يده فعهده حول خصره ، ثم ترك مسافة ثلاثة  
أمتار وعهده حول خصرى .. وكرر الشيء ذاته مع  
(ماسومو) .. لم أفهم حكمة هذا الترتيب .. لكن  
(ماسومو) راق له الأمر :

- « (تارو) أقواتنا بنية وسوف يكون دائمًا فى  
مستوى أعلى منا ، وبالتالي سيكون أقدرنا على حمل  
الآخرين لو انزلق أحدهنا .. »

فهمت .. هذه أمور لا تتعلمها فى كلية الطب  
غالبًا ..

وهكذا - مربوطين بالحبال كأننا الأخ (بيرد) أو  
(روالد امندسن) - أخرج (ماسومو) المطرقة ودق  
خابورًا محكمًا فى الجدار الصخرى فتساقط الجليد  
غبارًا أبيض .. وثبت ما يشبه الركاب ليستطيع  
الوقوف عليه ممسكًا بالخابور وواضعًا قدمه على  
الركاب .. وهكذا بدأت الهبوط أنا وبعدي (ماسومو)  
عبر جدار شبه رأسى ..

الحقيقة أننى لم أحاول قط النظر إلى أسفل .. لكنى

جربت مرة وكنت أتوقع أن أرى الأرض عبارة عن  
نقاط صغيرة ، لكنى لم أر شيئاً على الإطلاق بسبب تلك  
السحابة البيضاء .. ضباب ؟ أم لعنها سحب ؟ بالكثرة !  
أنا لا أذكر ارتفاع السحب ، لكن لو قال لى أحد إن  
هذا الذى عند قدمى سحب ، وإبنى فوق مستوى  
السحاب الآن لفقدت وعيى .. لا .. مستحيل .. هذا  
ضباب .. بعون الله هذا ضباب ..

هبطنا على جرف صخري بارز .. فوقف (تارو)  
يكرر ما فعله .. طبعاً لم يستطع استرداد الخابور  
الأول ولا الركاب .. لابد أن المتسلقين المحترفين  
يتبعون طريقة مختلفة .. لكننا - بالطبع - هواة بشير  
منظرهم الشفقة وربما السخرية .. لابد أن الجبل  
يرمقنا وهو يوشك على الانفجار ضحكاً .. أتمنى ألا  
يحدث هذا كما تمنى الأعرابى ألا تأخذ سقف بيته رقة  
العبادة فيسجد !

من جديد رحنا نتدلى .. هكذا كنا نهبط ستة أمتار  
فى المرة ..

تباً ! ما كل هذه الوعورة ؟ لماذا لم نهبط من حيث  
صعدنا وقد كان الأمر أكثر سهولة ؟!

على كل حال أمامنا بضعة أمتار أخرى ونستوى  
الأرض من جديد ... فقط فلتحاول ألا ....

فجأة سمعت صرخة من أعلى ..

رفعت رأسى لأرى ما يحدث فوجدت (تارو)  
يهوى فوق رأسى ؛ وقد فقد الخابور الذى تشبث به  
تماسكه !





تحدث جانباً في اللحظة المناسبة فقط ليمر  
( تارو ) على بعد سنتيمترات منى ..

وشعرت بشد هائل في الحبل حول خصرى ،  
ففرست أظفارى فى الصخور من دون تفكير ..  
تخيلت أننى برص يتشبث فى شرخ جدارى ..

احتضنت للصخور الثلجية احتضناً .. ونظرت لأسفل  
فوجدت ( تارو ) يتلى من الحبل الذى يمسك بخصرى ،  
ومن الجلى أنه لا توجد أرض من تحته .. إنه معلق  
كالبنديل .. وكل ثقله على خصرى المسكين ..

ونظرت للجهة الأخرى فوجدت ( ماسومو ) ممتقع  
الوجه - لا أعرف كيف - يتشبث بالصخور مثلى ..

هذه هى نتيجة فكرة الحبل النيرة ..

من الناحية الإيجابية هى أنقذت ( تارو ) من التهشم

على الصخور .. لأنه كان سيسقط عشرة أمتار على  
الأقل وربما أكثر حتى يصطدم بحافة صخرية ما ..  
من الناحية السلبية الأمر يشبه التفاعل الذرى  
المتسلسل أو قطع ( الدومينو ) التى تسقط بعضها ..  
يكفى أن أفقد تشبثى وسوف أتبع ( تارو ) .. ثم  
يتبعنا ( ماسومو ) ..

راح ( تارو ) يتأرجح محاولاً الاقتراب من الجدار ،  
فصرخت فيه :

- « كف عن التأرجح يا أحمق ! أنت تفقدنى القدرة على  
التماسك ! »

هذه هى دعاة الجبل وإنها لقاسية ..

هناك حل سهل للخروج من هذا المأزق هو أن  
أقطع الحبل الذى يربطنى إلى ( تارو ) ، لكن أى حل  
هذا ؟ وأية أعصاب سأجدها وأنا ألقى به إلى  
الهاوية ؟

لكنه كان قد توصل إلى الشيء ذاته .. صاح بي :

« دكتور ! لا يوجد حل ! اقطع الحبل الآن !! »

آه ! إنه الإيثار ! وهو آخر ما أتمنى سماعه الآن ..

« دكتور ! إنني فعلاً لا أشعر بقدمي .. لقد سرى فيهما

التنميل .. لا بد من خلاص ! »

آه ! إنه التنميل وهو لا يجعل الحياة أجمل ...

« دكتور ! من الممكن أن أسقط فوق الحافة .. لن أموت ..

أنا متأكد من ... »

« هلا خرسست بالله عليك !!؟ إنني أفكر وأنت

تقطع أفكارى كلما تبلورت !! »

ومن تحتى قال ( ماسومو ) وهو يناولنى

ما اكتشفت أنه سكين ضخمة :

« الرجل على حق .. ناوله السكين يا دكتور ..

لو كنت مكانه لقبلت ! »

ألن تخرس أنت الآخر ؟ تقول هذا لأنك لست فى  
دعته ...

ما الحل الصحيح ؟ رباه .. ما الحل الصحيح ؟

\*\*\*

« من هذا الجانب !! »

كان الكلام بالإنجليزية وقد سمعته يأتى من  
اليسار ، فعرفت القائل قبل أن أراه ..

إنه ( جولد سميث ) المجدوب الأمريكى الذى يجوب  
الجبل مبشراً بشيء ما لا أفهمه .. لم نره منذ أيام  
وحسبنا نسينا كل شيء عنه ..

الآن هو يقف على جرف صخري غير بعيد من  
مكاننا .. لا أعرف كيف وصل هناك ولا منذ متى ..  
كل ما أعرفه هو أنه كان مدثراً بعدة معاطف من  
نفس الطراز المبقع .. وكان يحمل فى يده حبلأ  
غليظاً يلفه كأنشوطة مراراً .. ثم طوح به باتجاه  
( تارو ) وأمره أن يمسك به ..

لم يكذب (تارو) خبراً فتمسك بالحبل ، بينما راح  
(جولد سميث) يجذبه نحو الجرف الذى يقف عليه ..  
بهذا صار (تارو) ممسكاً بحبل يبدو أن الأمريكى  
ربطه إلى صخرة بارزة ، والآخر مربوط إلى خصر  
(تارو) متصلاً به .. أى أنه صار كالأرجوحة معلقة  
من طرفين ..

- « تشبث بالحبل الذى فى يدك جيداً .. »

لم يفهم (تارو) فأعدت الكلام بالفرنسية ..

ثم صاح به (جولد سميث) بلهجة أمرة :

- « اقطع الحبل من ناحيتك أيها العربى ! »

مددت يدي إلى الحبل وعالجتة .. بصعوبة نوعاً  
لأنه كان غليظاً ، لكنه انقطع فى النهاية وهوى  
(تارو) كالأرجوحة نحو الجرف .. مد (جولد سميث)  
يده يعاونه على التسلق ..

وبعد دقائق بدا أن محنتنا انتهت ..

ثم إن الأمريكى أصدر لنا أمراً آخر :

- « حاولا أن تقتربا بحذر لتكونا معنا على نفس  
العافة .. »

وهو ما استغرق عشر دقائق ، لكننا فى النهاية  
وضعنا أقدامنا على الأرض الصلبة الزلقة جوار  
الرجل الذى لم يعد يبدو لى مخبولاً إلى هذا الحد ..

صافحته مصافحة القفازات ، وقلت له فى صدق :

- « شكراً يا سيدى .. لولاك !! »

قال وهو ينظر لأعلى :

- « لنا وسيلة .. إن الرجل ينفذ أفكاره بوساطتى ..  
لكن ثنى أن هذه الفكرة ما كانت لتأتينى لولا أنه فكر  
فيها .. كما قلت لك إن الرجل نادر .. إنه لعبقري ..  
شاعر لم يكتب شعراً ، ورسام لم يرسم لوحة .. وقد  
خطر لى أنه من المحزن أن تصلوا إلى هذه المسافة  
كلها ولا تقابلوه .. تصاء الحظ هم من داروا حول  
القمر ولم يهبطوا فى بحر العواصف .. »



قلت له وأنا أجلس على الأرض شاعراً بأن لحم  
وجهي يتمزق من البرد :

- « هل تلتى معنا ؟ »

اتسعت عيناه وارتجف لهول الفكرة :

- « لا .. شكراً .. أنا لا أصدق إليه .. أنا هنا أحوم  
حولك ككلب لا يجسر على الابتعاد ولا يجسر على  
الاقترب .. لكنك ترى أنه يثق بي .. يصدر لي  
الأوامر أحياناً وهذا لا يتأتى إلا عن حب عميق .. إنه  
يحبني .. أعرف هذا .. وهذا ما يمنعني من الوثب  
من فوق هذا الجبل ... »

ثم راح يرمقنا في فضول وشيء من الحسد :

- « أنتم ستقابلونه .. كلموه عنى .. امتدحوني .. »

قلت في صبر :

- « يجب أولاً أن نعرف كيف نصل إليه .. »

هتف في حرارة :

- « أنتم بالفعل على مرمى حجر .. ولكنكم اخترتم  
أصعب الطرق .. »

نظرت إلى (ماسومو) الأبله في غيظ وقلت :

- « ليس هذا ذنبى بل ذنب الدليل .. »

أمسك بيدي كأنما يفتاد طفلاً إلى الحمام .. ومشى  
بضع خطوات ثم أشار إلى ممر بين جدارين لم أفطن  
له من قبل ، وقال :

- « هنا .. تدخلون من هنا .. إن الدرجات ترقى  
بكم إلى مكانه .. »

درجات ؟ عم يتكلم هذا المجنون ؟

قال ضاحكاً وقد رأى دهشتي :

- « نعم .. نعم .. درجات .. إن الرجل لعبقري ..  
لقد أعد كل شيء .. هناك درجات منحوتة في هذه  
المدخنة القديمة .. لا تنس أن (كيبو) بركان خامد ..  
إنه ليس مصمتاً من الداخل كله .. »

ووجدت نفسي أنظر في دهشة إلى الممر بين  
الجارين ..

معنى هذا أن الجواب كان قريباً جداً .. ومعناه  
أيضاً أن الرجل - أنا من كان - لا يعيش فوق القمة  
بالضبط .. فما زال يفصلنا عنها الكثير ..

ناديت الرجال وبلا تردد دخلنا الممر ..  
هتف الرجل في لهفة :

- « لحظة .. هل مع أحدكم لفافات تبغ ؟ »

ووضع أصابعه أمام فمه كأنما يدخن ..

فتش (ماسومو) في حقيبته وأخرج علبة كاملة  
من التبغ الأمريكي ونال الرجل إياها ، ثم أخرج  
القداحة وأشعل له واحدة ، فامتص دخانها بيد راجفة  
كأنما يحاول امتصاص الكون كله ..

- « شـ .. شكرًا .. »

لم أكن قد رأيت (ماسومو) يدخن على الأقل في  
رحلتنا هذه ، وقد لاحظ التساؤل في عيني فقال :

- « وجدتتها على الأرض في (قوى) ، وكنت أنوي  
بيعها .. أنا لا أتخلص من شيء أجده أبداً .. »

هنا سمعنا للرجل يصيح في لهفة :

- « أنتم سترونه ! ذكروه بي .. امتدحوني لديه ! »

ثم بدأ صوته يتلاشى وهو يصيح من الخارج :

- « لا تسموني ! »



أضأت الكشاف وسلطت ضوءه على الجدران ..  
 حقاً يسهل الاعتقاد بأننا في صدع جيولوجي عتيق ..  
 هناك درجات محفورة بشكل بدائي تقود إلى أعلى ..  
 تبادلنا مع الرجلين نظرة ثم رحنا نرتقى الدرج ..  
 إذن نحن في كهف طبيعي داخل ( كيبو ) .. كهف  
 لم يره أحد قط .. هذا يجعل الأمور مفهومة أكثر ..  
 من العسير أن أتخيل بيتاً على قمة الجبل وسط  
 الثلوج .. دعك من أن يعانى ( جولد سميث ) كل  
 مشقة التسلق التى بدأت أعتقد أنها مستحيلة .. إن  
 الأمر بهذه الطريقة يبدو أقرب إلى القدرات البشرية ..  
 ونظرت لأسفل فلم أر قاعاً عميقاً مخيفاً .. يبدو  
 أننا حين كنا نقف على الجرف كنا بالفعل في قاع هذا  
 التكوين العجيب ..

لم يكن المكان أكثر دفئاً .. إنه بارد تماماً .. لكنه  
 على الأقل يحميك من تيارات الهواء المخيفة بالخارج ..

وقال ( تارو ) وهو يشعل كشافه بدوره :

- « المكان مخيف .. لن نتقدم أكثر .. »

واصلت التقدم ولم أعلق .. لقد وصلت الأمور إلى  
 حد يستحيل معه التراجع .. لا بد أن نعرف .. أن  
 نفهم ..

نصعد الدرج ببطء شديد .. وأضواء كشافاتنا تلقى  
 ظلالاً مخيفة على الهوابط والصواعد التى تملأ المكان  
 من حولنا .. أنظر لأعلى فأدرك أن هناك فتحة ما  
 على ارتفاع عشرة أمتار ..

لقد ننونا جداً ..

وراحت الكلمات تتردد في ذهنى بينما نحن نصعد ..  
 « إنه فيلسوف .. لكنه لا يعبر عن فلسفته بالكلمات ولكن  
 بالأفعال .. وبعض أفعاله قاسية والحق يقال .. »



« هذا الرجل لن يترك القمة أبداً .. لقد صار وهي شيئاً  
واحداً حتى إني لا أعرف من منهما وجد أولاً .. »  
« يكفى أن تطلق عليه اسم ( الرجل ) .. ومصدقنى أن  
القبائل هنا تفهم ما أقول أكثر منك .. »

« الرجل رانع .. دعنى أؤكد لك هذا .. إنه رانع .. كان  
حكمة كل الفلاسفة قد قطرت وزرعت فيه .. »

« أنتم ستقابلونه .. كلموه عنى .. امتدحونى .. »

أرى الجثة التى سلخ جلدھا وعلقت على وتد ..

أرى العجوز ( لواما ) تضحك فى هستيريا ..

أرى الأشباح تهاجمنا فى الظلام ..

أرى الضوء الأزرق من ( كيو ) ..

من هذا الرجل ؟ هل هو ( كومارمسكى ) ؟ ماذا  
يفعله هنا وما نوع التجارب التى يمارسها ؟

هل هو المستول عن كل ما رأيناه من أهوال ؟ لو  
كان كذا فهو ليس بشرياً .. إنه غول ..

نحن الآن على باب الفتحة .. يمكننا أن ندخل ..  
أخرجت المسدس وصوبته إلى أعلى كما يفعلون  
فى الأفلام الأمريكية ، ووثبت إلى الداخل مسلطاً  
ضوء الكشاف فى كل صوب .. إنها الرجفة فى يدي  
لتنى تلقى كل هذه الظلال المجنونة ..  
كان المكان خالياً ..

وأدركت بسهولة أنه خال منذ زمن بعيد ...

\*\*\*

بعد جولة قصيرة فى المكان أدركنا أنه لا يوجد  
أحد هنا .. إلا البرد والظلام ورائحة العطن ..

والآن من حقك أن أصف لك المكان .. أنا لا أعرف  
كيف نشأ ولا كيف تم بناؤه ، لكنى أعتقد أنه أخذود  
صخرى طبيعى .. استعمل الساكن جدارين منه وبنى  
جدارين آخرين باستعمال الخشب .. أى أن المكان  
نصف طبيعى نصف صناعى ..

إنها قاعة واسعة .. بها مدفأة ومنضدة وبقايا  
طعام لم يمض منذ زمن قديم حتى صار أقرب إلى  
الآثار .. هناك مكتبة بدائية من الخشب .. وهناك  
فراش جوار المدفأة .. واضح أنه لم يمض (ولم  
يرتب) منذ زمن ..

على الجدار بعض المصقات التي تمثل تفاعلات  
حيوية معينة ..

لكن الجزء المهم من الموضوع هو هذا الشيء  
في ركن المكان .. شيء يذكرك بثلاجات عرض  
المحلات الأفقية .. لكنه ليس ثلاجة وإلا فلماذا تخرج  
منه كل هذه الأسلاك والمدخنة التي تخترق سقف  
المكان ؟

هل هو فرن طعام ؟ لا .. واضح أن المدفأة والموقد  
يرسلان دخاتهما إلى مدخنة أخرى .. وكانت هناك  
مراوح صغيرة تذكرني بالشفاطات التي يضعونها في  
الحمامات .. يبدو أن هذا نظام تهوية كى لا يخنقه  
أول أو ثاني أكسيد الكربون المنبعثان من المدفأة ..



شيء يذكرك بثلاجات عرض المحلات الأفقية لكنه ليس ثلاجة  
والا فلماذا تخرج منه كل هذه الأسلاك والمدخنة ؟

كل شيء في الحجرة يوحى - علامة - بأهمية الثلاثة  
الأفقية هذه واستقطابها للغرفة كلها .. كأنما وضع  
الشيء وبُنيت الغرفة فوقه ..

كانت هناك أوراق على الفراش امتلأت بالمعادلات  
والأرقام .. على أننى لاحظت أن اللغة المستخدمة  
تستعمل حروفاً لاتينية لكنها غير معروفة لى .. ثم  
فطنت إلى أنها بولندية على الأرجح ..

ونظرت حولى في الحجرة واتخذت قرارى : هنا  
كان يعيش (كومارسكى) بالفعل .. كل شيء يدل على  
ذلك .. الرجل لم يمت .. هذا ما توقعه (سينوريه)  
وكان محققاً ...

كانت هناك أوراق كثيرة مكتوبة بالفرنسية لرجل  
قرأتها بعض الوقت ....

قلت لـ (ماسومو) ما معناه :

- « لو كانت معك بعض الأخشاب فلتشعلها لنا  
وحياة والدك .. ها هي ذى المدفأة .. »

وبالفعل بدأت النار تتوهج في المدفأة فاتبعث  
الدخان الجميل في المكان .. ونزعيت أكثر ثيابى  
والقلنسوة والقفازين .. هكذا بدأت أشعر براحة ..

قلت لـ (تارو) :

- « أقترح أن تبقى المصمدس في يدك .. لا نريد  
مفاجآت فئرة .. أريد بعض الوقت كي أطلع هذه  
الأوراق .. أعتقد أن فيها تفسير كل شيء .. »

ثم حملت الأوراق في يدي واتجهت إلى الثلاثة  
الأفقية - لو كانت ثلاثة - وحاولت فتحها .. هنا حدث  
شيء غريب ..

\*\*\*



فجأة راح الجهاز يهتز .. ثم رأيت الأسلاك  
الخارجة منه تتوهج بلون أزرق غريب .. بعدها عاد  
الهدوء .. أيا ما كان هذا التفاعل فقد انتهى ..

مددت يدي ورفعت الغطاء وشهقت ..

لقد رأيت الكثير من الجثث في هذه القصة على  
ما يبدو .. لكنى تمنيت لو كانت هذه الأخيرة .. لم  
تكن متحللة جداً ، وأدركت من الملامح أن هذا رجل  
أوروبي مسن .. خصلات شعر أبيض أشيب على  
الجبين وبشرة شاحبة .. لا إصابات .. إنما يرقد كأنه  
مومياء فرعونية من مومياواتنا .. سلام تام وشفتان  
مطبقتان على ما يشبه ابتسامة خبيثة ..

لم يكن الجو بداخل الشيء بارداً لكن الضوء  
الأزرق الذى يملؤه من الداخل جعلنى أشعر بأن هذه  
طريقة معينة لحفظ الأنسجة ..

أما أغرب ما رأيت فكان مجموعة من الكرات  
الزجاجية متراصة حول الجثة كلها مهشمة .. تذكرك  
بالكرات الملونة التى يعلقونها فى أشجار الكريسماس ،  
لكن كل كرة كان يخرج منها نطاق من الأسلاك ..

ما معنى هذا ؟ تقنية معقدة جداً لكنها ( يدوية ) لو  
كنت تفهم قصدى .. رجل بارع فى الكهرباء والميكانيكا  
هو من صنع هذا كله وليس مصنفاً ..

لكنى إذ أغلقت هذا الجهاز كنت واثقاً من شيء  
واحد : هذه الجثة جثة ( كومانسكى ) .. لا أعرف  
كيف ولا لماذا ولا ما يفعله هنا .. لكنى كنت واثقاً  
من ذلك .. هذا المكان مكانه .. ولا توجد آثار تدل  
على حياة من أى نوع .. إذن هو من يرقد هنا ...  
الأحمق المجنوب ( جولد سميث ) يجوب الجبل غير  
عالم أن سيده مات ، كما ظل الجان فى العذاب  
للمهين لا يظنون أن سيدنا ( سليمان ) - عليه السلام -  
قد مات ..

سألتني ( ماسومو ) وهو يزيد اشتعال المدفأة :

- « ماذا وجدت ؟ »

قلت وأنا أجلس على المنضدة :

- « جثة طبعاً .. ماذا كنت تتوقع ؟ »

قال في توتر :

- « دكتور .. هذا المكان شريد .. يجب أن نرحل  
حالاً .. إن حدسي لم يخنى قط .. »

- « ليس قبل أن أقرأ ما في هذه الأوراق .. »

وعلى ضوء المدفأة المتراقص طالعت أولى  
الصفحات ..

وكان ما قرأته كافياً كي ينتصب الشعر على  
مؤخرة عنقي ..

\*\*\*

- « إلى الطبيب الشاب الذي سيقراً هذه الأوراق : »

ما معنى هذا ؟ هل كان يتوقع قدومي ؟ كيف ؟

« عندما تجد هذه الأوراق ستكون قد مت منذ زمن .. »

نعم .. إن الجثة التي وجدتني في ( المفاعل Reactor )  
هي جثتي .. أنا الدكتور ( إرنست كزومارسكي )  
العبقري .. أنت تعرف أن الناس جميعاً عباقرة في  
نظر أنفسهم ، لكنني بالفعل عبقرى ولن يخفى  
للتواضع جزءاً من هذه الحقيقة .. »

نظرت للجهاز في رعب .. لقد استعمل لفظ  
( مفاعل ) فهل في القصة شيء ما نووي ؟ فلأواصل  
 للقراءة :

« قد تعتقد للوهلة الأولى أنني كنت أجرى تجاربي  
على الروح .. لا يا صديقي .. لقد كنت متكبناً فيما سبق ،  
وأؤمن أن الروح لفر لا يمكن فهمه ، ولا أزعم أنني  
قد تجاسرت على دخول ذلك العالم الغامض .. »

« لكن قراءاتي لبحوث اليابانيين وملاحظاتي الخاصة جعلتني أدرك أن هناك نوعاً من الطاقة يحيط بنا نحن البشر في حياتنا .. سمه الإكتوبلازم .. سمه الأورا .. سمه السيل الحيوى .. سمه أى شىء .. لكنها طاقة حقيقية وموجودة ويمكن استغلالها بشكل فيزيائى صارم ..

« مثلاً يبرد الجسد من حرارته بعد الوفاة ، نتلاشى هذه الطاقة خلال ساعات .. ودون أية تفاصيل معقدة أقول لك إننى استطعت الحصول عليها من الفئران المحتضرة ومن القرود التى حقنتها بجرعات عالية من الإنسولين .. حصلت على تلك الطاقة نقية وإن كنت لم أدرك كيف أستغلها ..

« ثم بدأت التجريب على المحتضرين من البشر فى وحدة (سافارى 1) .. ولاحظت ملاحظة عجيبة .. إن الاحتضار فى سلام ومن دون ألم لا يعطينى من هذه الطاقة القدر الكافى .. يمكن أن

أقرب المشهد لذهنك باعتصار الليمونة .. كلما ضغطت أكثر كلما أعطتك عصيراً أكثر ...

« الملاحظة الثانية المهمة هى أن هذه الطاقة تكون فى أعلى نشاط لها حين توضع فى حرارة منخفضة أو فى موضع مرتفع .. لا أعرف تفسير ذلك لكن هذه ملاحظاتي على كل حال .. كانت الطاقة تتوهج إذا ما جمعتها من مرضى الطابق الثانى أكثر منها مع مرضى الطابق الأرضى ..

« كان هذا حينما تسرب أمر تجاربي إلى إدارة (سافارى) .. ولم يكن الوغد الأسباني (كاسونا) ممن يتسامحون .. وعرفت أننى سأطرد مجلأً بالعار .. كما اتتأبني الكثير من الهلع .. لم أكن مؤهلاً لتحمل نتائج ما أفعل .. دعك من أنه كان أمامى الكثير مما يجب أن أفعله ...

« واتخذت قرارى الأخير والصائب .. سوف يعرف العالم أننى مت .. ثياب ممزقة ملوثة بالدماء ملقاة



جوار آثار أقدام ضباع .. هذا هو كل شيء .. لكنى  
فى الحقيقة سأولد من جديد ..

« وكما ترى فإن (كليمنجارو) يسيطر سيطرة  
عامة ويجثم على أرواح سكان (تقزانيا) وأكثر  
(كينيا) .. وهذا لى الإغراء قويًا .. إن ما يقدمه لى  
(كليمنجارو) هو :

« أ - مكان منعزل بعيد عن العيون .

« ب - موضع بارد .

« ج - موضع مرتفع .

« د - زاد لا ينتهى من الأهالى الذين لا يسأل  
عنهم أحد .. »

« كانت الخطة عسيرة لكنى نفذتها بصبر .. كان  
هناك ذلك الأمريكى (جولد سميث) الذى يشق به  
رجال القبائل هنا .. وبمعونته استطعت الوصول إلى  
هذا الوكر يومًا ما منذ عشر سنوات .. وخلال عامين

تمكنت من تشييد هذا المكان المتواضع .. كان يمدنى  
بما أريد من مؤن .. ويؤمن بعقريتى إيمانًا تامًا ..  
والحقيقة أنى لم أنزل هذا الجبل قط من حينها ...

« وهكذا صار بوسعى أن استكمل تجاربى على  
تلك الطاقة الغامضة التى أطلقت عليها (الظاهرة) ..  
يجب أن أتجنب ذكر بعض الحقائق .. لقد اضطررت  
للأسف لارتكاب فظائع كثيرة .. لم أكن قط قاسيًا  
لكنك تفهم أننى أحرقت كل سفنى ، ولم يعد أمامى  
إلا أن أستمّر فى تجاربى .. يجب أن أنجح وأكون  
عديم الرحمة .. إن لى رجلين من قبائل (الكاشا)  
على استعداد لعمل أى شيء مقابل المال ، وقد سهلا  
لى بمعونة (جولد سميث) للجزء العنيف من  
للموضوع .. الاستدراج .. التعذيب .. ثم الحصول  
على تلك الطاقة المهمة ..

« لا بد لك رأيت (المفاعل) من الداخل ، واستنتجت  
ما تحويه تلك الكرات الزجاجية .. إنها (الظاهرة)

مكتفة وفي أفضل حالاتها .. كل كرة تساوى بانسًا  
من رجال القبائل ..

« كل المنطقة كانت تسمع عن أشياء .. عن  
قتلى .. عن الرجل الأبيض الذي يعيش قرب  
( كيو ) .. لكنهم شديداً التطير ولم يرغبوا قط في  
رؤية ما يحدث بأنفسهم ..

« تعلمت كيف أستخدم هذه الطاقة للحصول على  
الكهرباء .. كيف أنير بها الكوخ .. لكن المفاعل كان  
يلقي دوماً بضوء أزرق غريب تلتصع له قمة ( كيو )  
من حين لآخر .. وقد اعتدت هذا التأثير ، واعتبرته  
مناسباً ليقفل من ولع القوم بالافتراب ..

« مرت السنون وعرفت الكثير عن تلك الطاقة  
المخيفة .. ومع الوقت بدأ ( جولدسميث ) يجن .. لقد  
اعتبرني أتعامل مع لغز الكون ذاته .. بدأ يقدرني  
بشكل غريب .. بالإضافة إلى أن هذه التجارب دمرت  
جهازه العصبي فعلاً .. وهكذا اضطررت إلى طرده ،

لكن الأحق فضل أن يجوب الجبل وسط الثلوج من  
حولى كأنه كلب ( سان برنار ) .. وكان يحضر لى  
المؤمن لكنه لا يقابلنى أبداً .. وناسبنى هذا ..

« الآن بدأ الزمن يزحف على .. إننى مصاب  
بالسكرى وارتفاع ضغط الدم .. وحالة قلبى ليست  
على ما يرام .. لاحظ أننى لم أتلق أية أدوية محترمة  
طيلة هذه الأعوام ..

« عرفت أننى أموت .. لكن فكرة الموت لم تثر  
رعبى .. ما أثار رعبى هو أن اللفظ أنفاسى هنا  
فتتوقف تجاربى العظيمة وكل ما عشت من أجله ..  
من المؤسسى أننا نموت بعدما اكتسبنا ذروة الخبرة ..

« وهكذا بدأ مشروعى الأكبر .. بدأت بتحطيم كل  
البلورات كي يتحرر ما فيها من طاقة .. كنت بحاجة  
إلى قوة عظمى متحدة .. ويبدو أن هذه الطاقة كانت  
تعرف كيف تتحرر من خلال المدخنة فوق القمة ..  
تخرج منها وتعود لها .. لقد شهد الجبل أياماً



مروعة .. الناس يرون أشباحًا وثمة أشياء مخيفة  
تهاجم البيوت .. وأفراد القبائل يرون الموتى بين  
أكوابهم .. أعتقد أن هذه كانت جميعًا هلاوس  
بصرية .. لا شك في أن الناس في الأسفل شعروا  
وسمعوا عن أشياء غريبة .. لابد أن كثيرين ذهبوا  
إلى (سافاري) وتكلموا ..

« بعد هذا كتبت هذه الأوراق .. وحين أفرغ منها  
سأدخل المفاعل وأرقد مع كل هذه الطاقة التي  
استخرجتها عبر عشر سنوات .. سأحاول - في  
لحظات احتضاري الأخيرة - أن أبحث عن شاب قوى  
يتلقى كل ما لدى من علم .. شاب يستكمل تجاربي  
من النقطة التي انتهيت عندها ..

« أنا بحاجة إلى طبيب .. طبيب شاب قوى .. يجب  
أن يأتي إلى هنا ويفتح المفاعل ويتلقى طاقتي وطاقة  
مواضيع تجاربي .. أعتقد أن هذا سيجعله أنا آخر ..  
لكن كيف أحضر الشاب إلى هنا ؟ كيف أقتعه بتسليق

(كليمنجارو) ؟ كان هذا مستحيلًا حتى فكرت في  
(سافاري) .. في (سينوريه) الذي كان سبب توقف  
تجاربي .. ترى هل ما زال هناك ؟ هل ما زال حيًا ؟

« أعرف أنني أستطيع .. أعرف أنني سأجعله  
يرسل لي شابًا بحجة واهية .. سأجعله يقتنع ويقتنع  
كل أحبائه .. فقط أريد كل هذه الطاقة .. لو كانت  
تسبب هلاوس سمعية وبصرية للأهالي فإنها قادرة  
على الإيحاء ..

« والآن يا عزيزي الطبيب الشاب الذي لا أعرف  
اسمه .. لقد جئت .. لقد تلقيت (الظاهرة) .. إنها في  
كل جزء من جسدك الآن .. ستجديني بالتأكيد جثة  
هامدة ، لكن طاقتي موجودة وهي داخلك الآن .. مع  
طاقة عشرات الأقارعة الذين ماتوا وهم يتعذبون ..

« سامحني على ما قمت به .. وأتمنى لك حظًا سعيدًا  
في تجاربك القادمة ..

بإخلاص : إرنست كومارسكي ..



فرغت من الأوراق فطويتها ..

ونظرت إلى الأوراق الأخرى التى كتبت عليها  
المعادلات بالبولندية ..

إننى أفهمها الآن يا رفاق .. ألا ترون هذا ؟ أليس  
هذا فاتناً ؟ تعلم لغة كاملة فى لحظات ؟

طويت الأوراق ووضعتها فى جيبى ، ثم نهضت  
وقلت بصوت آمر واثق لـ ( تارو ) و ( ماسومو ) :

- « عرفت ما ينبغى عمله .. الآن حان وقت العودة ..  
إنها ليست أسهل من التسلق .. »

قال ( ماسومو ) :

- « ما الذى عرفته ؟ »

- « هذه تفاصيل لا تهلك لكنها تعينى أنا .. تعينى  
كثيراً .. »

أشعر بقوة وعزيمة غير عاديتين فى نفسى ..

لقد حكيت لكم هذه القصة فقط كي تفهموا موقفى ..  
إننى أزداد حكمة يا رفاق .. أفهم الحياة كما لم أفهمها  
من قبل .. من أجل الحقيقة أرسلنى ( سينوريه ) إلى  
الجبل بمهمة وهمية وبخطاب أبيض ، وأقنعتنى زوجتى  
الحبيبة بالذهاب وأنا لم أتسلق جبلاً فى حياتى ..

كل هذا من أجله يا رفاق .. من أجله ..

( سينوريه ) كان يرتاب فى أشياء .. فلا بد أنهم  
حكوا له عن الجثث المعلقة على أوتاد فى الجبل ..  
ولابد أنه تذكر شيئاً مماثلاً كان يحدث فى معمل  
( كومارسكى ) منذ عشرة أعوام .. مع الفئران هذه  
المرة .. لابد أنه شك لكنه كان يشعر بدعوة خفية  
ترغمه على أن يرسلنى إلى الجبل ..

كل هذا من أجله يا رفاق .. من أجله ..

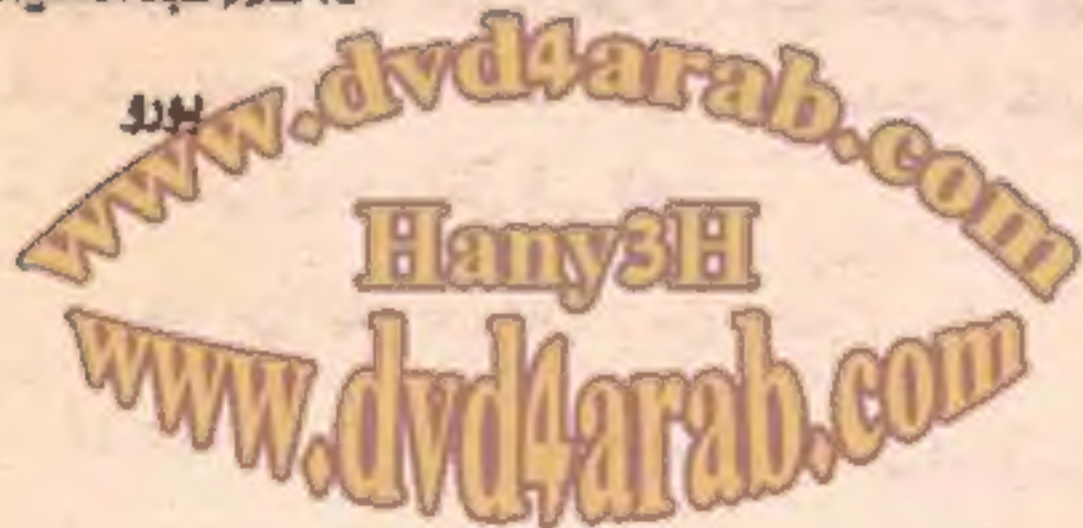
أنا عائد إلى ( سافارى ) ومنها لـ ( مصر ) ...

عندى زوجة حبيبة وقريبًا طفل .. لكن عندى  
أيضًا هدف سام لحياتى ..

ترى كيف ستكون نتائج هذه التجارب لو جربتها  
مع زوجتى ؟ هل طاقة من نحب لها خواص مختلفة  
عن خواص الأغراب ؟ كيف تتفاعل طاقة حديثى  
الولادة مع الأم ؟ ترى كيف ستكون نتائج التجربة  
فى مصر ؟

سأدرس هذه الأوراق وأفهم كل شىء .. وعمّا  
قريب سيكون لدى مفاعلى الخاص ..  
إن أمامى مستقبلًا مثيرًا إلى حد أنه يثير رعبى ..

د. علاء عبد العظيم





سافاري

سافاريات طليعة السافاريات  
لكن يظل حيا ولكن يظل طليعة

روايات  
مصرية  
الحبيب

## كليمنجارو

هناك سر ما يفتظرونا في الجبل .. بالتحديد  
عند القمة الغربية التي يسمونها ( كيبو ) او  
( نجاجي نجاي ) .. سنتذهب صفا لنعرف هذا  
السر ، ولكن دون ذلك رحلة مفعمة بالاهوال  
والصعاب .. يجب ان نعرف من هذا الرجل ..  
ماذا يفعله بالضبط .. ولماذا العودة عسيرة ان  
لم تكن مستحيلة ؟



د. احمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com  
Hany3H

مطبعة وشركة  
المؤسسة المصرية الحديثة  
للطباعة والنشر  
100 شارع النور  
القاهرة

الطعن في مصر ٢٥٠  
وبالمطبعة المصرية  
في مصر العربية والعالم

العدد القادم  
الظاهرة